إلى تحافظ بريطانيا في الخليج العربي، بما فيه مسقط، على 5 سفن
خفر سواحل للمرابطة تغير مكان وقوفها من حين لآخر، علماً بأنه توجد دائماً في مسقط سفينة خفر سواحل. ومن أجل الترويح عن الطواقم تغادر هذه السفن، بالتناوب وفي فاصل زمني معين، إلى كاراتشي لمدة اسبوعين. تعرج سفن حربية تابعة لدول أخرى على مسقط احياناً ولكن بصورة نادرة نسبياً. ومن الاسطول الفرنسي المرابط في مدغشقر ترسل سفينة واحدة ثلاث مرات في السنة إلى مسقط. وتعرج احياناً سفن حربية اميركية.
المناخ في شهر تشرين الثاني (نوفمبر)، رغم قيظه، لا يمت بصلة للقيظ الاستوائي، فالنسيم العليل يرطب حرارة الجو على الساحل وفي المكلأ على السواء.
النزول إلى الشاطئ بالقوارب محفوف بالمصاعب . فلا وجود هنا للارصفة والمراسي، وتضطر السفن إلى الرسو بمقدمتها عند الشاطئ الصخري مباشرة.
اما الجزر الذي يعرى الشاطئ فيزيد من صعوبة النزول إلى الشاطئ. (ص 69) وقاع المرفأ مفروش بالحجارة بحيث ان دنو القوارب البخارية والزوارق الحديدية من الشاطئ هو أمر محفوف بالمجازفة الشديدة. فارسلت إلى الشاطئ قوارب خشبية فقط.
توجد لدى الحكومتين البريطانية والفرنسية مستودعا فحم لاجل حاجات سفنهما.
المستودع البريطاني يتسع لـ 2500 طن، والفرنسي لـ 1000 طن.
لا وجود هنا للمحلات التجارية، ولا سيما للفنادق، ويمكن الحصول من المورد على: لحم رديء جاف وكثير العروق، خراف، دجاج، خيار، ليمون حلو، خبز، ماء الصودا، معلبات بكمية غير كبيرة.
في ميناء مسقط يمكن مصادفة سفن عربية تحمل العلم الفرنسي. فقد عقدت فرنسا معاهدة مع سلطان عمان يتمتع بموجبها العرب، من مواليد مدغشقر والساكنون في عمان، بحماية فرنسا ويستطيعون رفع العلم الفرنسي على سفنهم. وعدد امثال هذه السفن حوالي 30 وهي تحت الاشراف المباشر من جانب القنصل الفرنسي في مسقط.
لدى وصول الطراد إلى مسقط صعد إليه عميل الشركة الروسية للملاحة والتجارة، الفرنسي M. Goguyer الذي عرض علينا خدماته بكل لطف ومجاملة، وبعده جاء ضابطان ارسلهما السلطان لتقدمه التهنئة بالوصول والشكر على التحية المدفعية والاستعلام عن متى ازمع القيام بزيارة للسلطان. فطلبت نقل شكري للسلطان وابلاغه انني أنوي زيارته غدا الساعة التاسعة صباحاً إذا كان ذلك يناسبه.
(ص 69 ظهر) كان الضابطان يتكلمان بالعربية فقط، فتحادثت معهما بواسطة عميل الشركة الروسية للملاحة والتجارة M. Goguyer.

من M. Goguyer علمت انه يوجد في المستودع الفرنسي 650 طناً من الفحم. ويتسع هذا المستودع لـ 1000 طن، ويمكن مضاعفة سعته، ويلزم لذلك فقط اضافة عنبر إليه.
رغبة في اغتنام امكانية اكمال احتياطي الفحم، سيما وان الفحم العدني كان رديئاً واستهلكنا منه كمية كبيرة أكبر من اللازم، ارسلت المفتش مع بطاقة دعوة إلى القنصل الفرنسي لاجراء مفاوضات.
واتى القنصل الفرنسي السيد Lorans على القارب نفسه مع المفتش إلى الطراد للترحيب بالوصول، وعرض خدماته أثناء توقف الطراد في مسقط، وإذ علم بانني سأقوم غدا الساعة التاسعة بزيارة للسلطان اقترح مرافقتي والاضطلاع بدور مترجم، فوافقت على ذلك. وبصدد الفحم الفرنسي أعلن لي القنصل انه يوجد لديه في المستودع 650 طناً، ولكن يترتب عليه، لاجل تسليم الفحم للطراد، طلب إذن من باريس؛ وان الجواب من باريس يمكن ان يرد خلال 48 ساعة وانه سيأتي إذن بذلك، على ما يبدو.
بما ان السيد Lorans كرر للمرة الثانية العبارة نفسها فقد نشأ لدي، بغير ارادة مني، بعض الارتياب، وبغية التحقق من صحة افعاله وسلوكه وطلبت منه ان يبعث استفساراً بهذا الشأن إلى باريس، واردفت قائلاً انني لن انتظر الجواب 48 ساعة، بالطبع، ولكن عندما يتلقى جواباً فليرسل لي برقية إلى بوشهر، وعند ذلك اعرج عليه في طريق العودة.
(ص 70) وعد القنصل بالقيام بذلك. وطوال مدة وقوف الطراد في مسقط كان القنصل الفرنسي لطيف الجانب وشديد الاهتمام. وكنا جميعاً في علاقة ممتازة معه، وتناول الغداء مرة عندي ومرة في غرفة الاستقبال.
واثناء الاحاديث أعلن لي انه ينتظر وصول طراد فرنسي يجب ان يخصص له 400 طن فحم، لذا فلديه 250 طناً حرة وانه سيسلمها لطرادنا حالما يتلقى اذناً بذلك.
وكما تبين فيما بعد فإن ذلك كله كان عبارات مجاملة لا أكثر.
لم استطع التحقق مما إذا كان القنصل أرسل برقية إلى باريس أم لا، ولكن عندما اقتربت نهاية الـ 48 ساعة التي لم يعول على ان طرادنا سيبقى في مكانه خلالها، عند ذلك امتدت مدة امكانية الحصول على جواب من 48 ساعة إلى أربعة أيام، وفي نهاية الأمر لم احصل على أي جواب في بوشهر ايضاً. وقبل مغادرة مسقط تركت لدى القنصل برقيات ليرسلها إلى روسيا، واثناء وصولي إلى كولمبو تلقيت من القنصل رسالة وبضمنها ايصالات بالبرقيات المرسلة، ولكن لم يكن يوجد في الرسالة كلمة واحدة حول الجواب الذي تلقاه القنصل من باريس. وعلى العموم، فاستناداً إلى الشائعات الرائجة هنا، وإلى شهادة الفرنسي عميل الشركة الروسية للملاحة والتجارة،

وإلى الانطباع الذي تركه القنصل في نفسي، فاني مضطر للاستنتاج بأنه لا ينبغي الثقة بالسيد Lorans، فهو انجليزي أكثر مما هو فرنسي.

طبقاً لتعليمات اركان البحرية العامة بعقد اتفاق بصدد تأمين الفحم لسفننا سألت القنصل عما يعوق امتلاك كمية أكبر من الفحم.

ويستفاد من اقوال القنصل ان عنبرهم يتسع لـ 1000 طن، ولكن ثمة متسع ايضاً ويمكن بناء عنبر اضافي سعته 1000 طن، وان هذا البناء سيكلف من يعملون على توسيع العنبر. فلو بنوا العنبر وزادوا سعة المستودع حتى 2000 طن لكان باستطاعتنا ان نستفيد من المستودع على قدم المساواة مع الفرنسيين، غير ان ذلك كله رهن بقرار الحكومة الفرنسية.

(71) تنبغي الاشارة، بالمناسبة، إلى ان الفحم في المستودع الفرنسي سيئ النوعية وممزوج بالفحم الهندي، وهو باهظ الثمن: 4 جنيهات واخبرني عميل الشركة الروسية للملاحة والتجارة M. Goguyer انه، إذا كنا نرغب في إيجاد مكان لمستودع فحمنا، فسوف يتولى تدبير ذلك بأن يطلب من السلطان مكاناً؛ كما أعلن انه يود كثيراً ان يكون عميلاً للقنصلية الروسية في مسقط.

أعتقد انه، إذا كنا نرغب في ان يكون لدينا مستودع فحم في مسقط لاجل حاجات سفننا، فمن الاسهل والاصح بكثير إجراء مفاوضات مع السلطان مباشرة، ولكن ليس من خلال الفرنسيين بل عن طريق ارسال موظف روسي، يجيد اللغة العربية، على متن الطراد الحربي. فإذا أصبح لدينا مستودع للفحم خاص بنا سيكون أفضل نوعية وارخص ثمناً. وسفينة التدريب "اوكيان" يلزمها، على كل حال، ان تبحر لاجل إجراء دروس تطبيقية لفرق الآليات، ولا يكلفها شيئاً شحن الفحم ووضعه في المكان المخصص له.

ليس ثمة أدنى شك في ان السلطان سيسمح بوضع فحمنا في أحد أماكن سلطنته، ما دام انه سمح بذلك للانجليز والفرنسيين . فليس ثمة أسباب لرفض ذلك علينا. والارجح انه سترتب دفع نقود لقاء المحل.

من الواضح ان الانجليز سوف يقاومون تخصيص محل لنا، ولكن ينبغي لاجل ذلك إجراء المفاوضات بصورة سرية وبأسرع ما يمكن. (ص 71 ظهر) ينبغي القيام بذلك كله في جلسة واحدة من المفاوضات. وبعد المفاوضات، عندما سيوافق السلطان على اعطاء مكان، سيعمد الانجليز، بالتأكيد، إلى تهديده بالقصف وبقطع الاعانة، وهو ما فعلوه ابان المفاوضات حول المستودع الفرنسي. انهم لن يقدموا على القصف، فهم سوف يخيفون بذلك، ويمكن حينئذ تهديد الانجليز ايضاً، بل وان الاعانة ايضاً لن يقطعوها على الارجح وبالاختصار، ففي المفاوضات

مع السلطان شخصياً ربح محتمل، وليس ثمة أية خسارة. وإذا ما تقرر إجراء مفاوضات مع السلطان بصدد مكان لمستودع الفحم فانني لن اختار مسقط مكاناً لذلك.

فإن جون مسقط والاجوان المحاذية لمسقط مكشوفة امام الرياح O - N - w؛ ويحدث تموج حتى لدى هبوب ريح خفيفة، ويصبح التحميل عسيراً، بل ومستحيلاً احياناً. وفي أشهر الشتاء، عندما تسيطر الريح NW التي تعصف فجأة وتصل قوتها إلى 8 . 9 عقد، يصبح الوقوف صعباً على مرساتين والمراجل البخارية تشتغل، ولا وجود لأي اتصال مع الشاطئ.

من كل ساحل الجزيرة العربية والخليج العربي ينبغي اعتبار الاجوان الواقعة عند "Ras Masondam" أفضل الاجوان لاجل مستودع الفحم، واختيار احدها، ولأجل ذلك ينبغي التعريج عليها وفحصها.

يتبين من الخريطة ان شواطئ هذه الاجوان رأسية الانحدار تحت الماء؛ وعليه، فإذا انشئ مرسى غير كبير فإن باستطاعة السفن الدنو من المرسى مباشرة وأخذ الفحم. وقد أردت كثيراً الاطلاع على هذه الاجوان، ولكن الأمر الرئيسي هو انه ليس لدي إذن بذلك، وأنبأني قنصلنا في بوشهر ان الانجليز يعتبرون هذا الرأس خاصاً بهم ولحد الآن لا يرفعون العلم هناك،

(ص 72) ولكن ما ان تظهر سفينة ما في أحد هذه الاجوان حتى يسارعون إلى رفع العلم البريطاني. ان المفاوضات، بطبيعة الحال، سوف توضح هذه المسألة.

في 20 تشرين الثاني (نوفمبر)، الساعة التاسعة صباحاً، توجهت بصحبة ضباط إلى عند السلطان. عند الشاطئ استقبلنا القنصل الفرنسي السيد Lorans.

على الجانبين حرس قوامه ثلاثون شخصاً تقريباً.

بعد تبادل التحايا دخلنا الدار، إلى قاعة كبيرة شبيهة بالممر، ذات اثاث متواضع، بل وفقير.

وهنا قدمت الضباط للسلطان.

يحدث السلطان، 38 سنة، انطباعاً سارا في النفس ، سواء من حيث مجاملته ولطفه أم من حيث مستواه الثقافي. استقبلنا بالحفاوة والترحاب، وقال انه يكون دائماً سعيداً برؤية سفينة حربية روسية لديه، وشكر على التحية المدفعية وعلى اضاءة قصره امس بالمصابيح الكاشفة.

أثناء المقابلة كان السلطان يطرح بصورة متواصلة، من خلال المترجم، أسئلة تبين انه مطلع على السفن والجغرافيا والاحداث الأوروبية. (ص 72 ظهر) وابان ذلك قدمت لنا القهوة والشراب الحلو. واعلن السلطان عن الرغبة في مشاهدة الطراد، ووعد بالمجيء في اليوم التالي الساعة التاسعة صباحاً. بعد المقابلة رافقنا السلطان مع شقيقه ونجله حتى الفناء، ومن ثم قمت بزيارة للقنصل الفرنسي.

في 21 تشرين الثاني ارسلت في الموعد المعين قارباً بخارياً لاستقبال السلطان. وفي الساعة التاسعة وبضع دقائق صباحاً وصل السلطان إلى الطراد بصحبة شقيقه ونجله وحاشيته على قارب التجذيف الخاص به الذي كان يرفع علمين احمرين، مقطورا بقاربنا البخاري. فاستقبل بكل مراسم التشريفات اللائقة به.

بعد تبادل التحايا جرى عرض الطراد كله على السلطان.

كان السلطان طوال الوقت يعرب عن ارتياحه ويطرح أسئلة تبين انه مطلع على السفن واسلحتها. وطلب عزف نشيدنا الوطني، واثناء العزف كان يضع يده على رأسه. وطلب السلطان منا ان ننقل إلى السمو الامبراطوري لجلالة الامبراطور وإلى السمو الامبراطوري لولي العهد وإلى معاليكم الامبراطوري امتنانه القبلي وشكره الجزيل على ارسال طراد كبير، وانه مسرور وسعيد للغاية بأن يرى لديه سفينة حربية روسية.

بعد الطواف بأقسام الطراد، حيث أثار اهتمامه أكثر من أي شيء آخر رفع القذائف بواسطة الكهرباء، جرى في غرفة الاستقبال تقديم المأكولات، ولكنهم امتنعوا عن تناولها بمناسبة شهر رمضان. (ص 73) واعرب السلطان عن الرغبة في التقاط صورة فوتوغرافية له، فتم تحقيق رغبته.

وإذ رأى في غرفتي ساعة بموسيقى اعجبته كثيراً قال انه لا توجد لديه أشياء كهذه وانه لو جلب تجارنا إلى بلاده مثل هذه الأشياء لبيعت جميعها على الارجح. فعرضت على السلطان، بطبيعة الحال، ان يتقبل الساعة التي اثارت اهتمامه كذكرى لزيارته "اسكولد"، فقبل ذلك بكل ابتهاج، وفي الحال أمر ياوره بنزع الساعة ونقلها بكل احتراس إلى قصره. وقال السلطان انه يحب الموسيقى كثيراً، ولذا فقد امرت الموسيقيين بعزف بضع اغان، وقد احدث ذلك كله تأثيراً شديداً في نفس السلطان لدرجة انه قال: "انني احب الموسيقى كثيراً، ولكنها غير موجودة لدي، ولو ان القيصر الروسي أرسل لي موسيقى لكانت أصبحت موجودة عندي ايضاً".

أثناء الوداع اعرب لي السلطان عن عميق امتنانه على حفاوة الاستقبال، وتمنى لي سفراً سعيداً، وقال انه إذا عرجت عليه في طريق العودة فسوف يكون سعيداً جداً برؤيتي. فاجبته بأنه إذا سنحت لي الفرصة فإن الطراد سيغتنم، بالطبع، دعوته اللطيفة. (ص 73 ظهر) ولدى مغادرة الطراد طلب مني السلطان مرة اخرى، على السلم، نقل شكره الجزيل إلى سموه الامبراطوري.

لدى ولدى مغادرة السلطان ادينا تحية من 21 طلقة. أثناء زيارة السلطان للطراد جرت جميع الاحاديث من خلال القنصل الفرنسي.

بما انه لم تكن قد وصلت بعد برقية جوابية من باريس بخصوص الفحم، وبما انه لم يكن ثمة مسوغ لانتظار هذا الجواب مدة غير معلومة، سيما وانني كنت اشك كثيراً في وصول جوابين رفعت المرساة في الساعة الثالثة بعد الظهر باتجاه بوشهر بقوة مرجلين من البخار.

في 24 تشرين الثاني، الساعة 12.30 وصلت بوشهر ورسوت على عمق 9 ساجنات في المكلأ الخارجي على مسافة 6 أميال عن الشاطئ.

وفي المكلأ الداخلي كانت تجثو سفينة خفر السواحل البريطانية "Corssak" المرابطة في الخليج العربي. وبعد ساعتين جاء قائد السفينة في زيارة لنا، وفي اليوم التالي قمت بزياة جوابية.

(ص 74) توجد هذه السفينة في الخليج العربي منذ شهر نيسان (ابريل). (.......).

لدى الوصول إلى بوشهر اديت تحية الامة، وتلقيت تحية جوابية من بطارية الساحل المتنقلة الموضوعة امام دار المحافظ، مع رفع علمنا الذي ارسلوا إلى الطراد في طلبه.

(ص 74 ظهر) لا توجد طواب في بوشهر.

في اليوم ذاته وصل إلى الطراد عميد القنصلية العامة في بوشهر اوفسيينكو بمعية قنصل البصرة اداموف. واتفقنا مع القنصل على القيام في اليوم التالي بزيارة لمحافظ مدينة بوشهر.

في بوشهر علمت من دون البضائع انه يوجد فحم ويمكن الحصول حتى على 400 طن، ولذا فقد امرت بأخذ 400 طن، خاصة وان الفحم الذي استلمناه في عدن تبدى سيئ النوعية واستهلكنا منه كمية كبيرة.

في 25 تشرين الثاني سافرت بصحبة ضباط للقيام بزيارة جوابية لعميد القنصلية العامة. سافرنا على متن قارب بخاري إلى دار القنصلية مباشرة، وكنا نقطر خلفنا زورق تجذيف لانه لا توجد مراس عند الشاطئ ويضطر المرء للرسو على الرمل مباشرة. وعلى بعد نصف ميل عن الشاطئ توقف القارب البخاري وتابعنا سيرنا على زورق التجذيف حتى الشاطئ.

(ص75) عند الشاطئ استقبلتنا الفصيلة من الجيش الايراني بقيادة ضباط ارسلهم المحافظ خصيصاً لاستقبالنا. كما أرسل المحافظ مركبته الخاصة. وعند القنصل كان في انتظاري رئيس الجمارك جاء للترحيب بالوصول.

بعد تناول الفطور عند القنصل توجهت في المركبةت مع القنصل اوفسيينكو والضباط إلى محافظ بوشهر معز الممالك. في الساحة امام دار المحافظ كانت تقف بطارية مدفعية ميدانية، ثلاثة مدافع على عربات، وفى الفناء كان يصطف فصيل من المشاة بقيادة ضباط.

استقبلنا المحافظ بحفاوة بالغة، وكان القنصل يتولى ترجمة الأحاديث. واثناء المقابلة قدم لنا الشاي والشراب الحلو والقهوة.

لدى مغادرتنا أدت المدفاع الرابضة في الساحة تحية من 13 طلقة. ان الايرانيين يؤدون التحيات المدفعية لقائدي السفن الحربية الروسية فقط، وقد لاحظت ان عدد الطلقات يساوي دائماً عدد الطلقات التي تحييهم بها.

بعد زيارتي للمحافظ قمت بزيارة لرئيس الجمارك. واستقبلت كذلك بحرس من المشاة الايرانيين. وقدمت لنا عند الموظف الشمبانيا والشاي والشراب الحلو والقهوة.

ووجه رئيس الجمارك دعوة لي وللضباط بتناول طعام الغداء عنده في 27 تشرين الثاني. وكان ذلك، كما يقول قنصلنا، المثال الثاني لتوجيه شخص ايراني دعوة إلى الاجانب، ففي العام الماضي وجه هذا الموظف دعوة مماثلة إلى قائد الطراد "فارياغ".

رئيس الجمارك شخص لطيف جداً، وكان طوال وقوف الطراد في بوشهر يسعى جهده لاظهار مجاملته التامة لنا.

(ص 75 ظهر) من عند رئيس الجمارك توجهت مباشرة إلى القارب الذي انتقل اثناء ذلك بقيادة المرشد البحري إلى رصيف دار المحافظ. ذلك هو المكان الوحيد الذي يمكن لقارب بخاري الرسو فيه ايا كان مصدر الرياح، ولكن ينبغي السير إلى هناك بقيادة مرشد بحري من كل بد لان هذا الخط، حسب الخريطة، مستحيل السلوك بالنسبة للقوارب البخارية (العمق قدمان)، بينما لا توجد علامات تشير إلى المجاملة الملاحية.

في اليوم نفسه وصل إلى الطراد قنصل البصرة اداموف المعين لمرافقة الطراد عبر موانئ الخليج العربي.

وابلغني عميد القنصلية العامة في بوشهر ان القناصل الفرنسي والهولندي والتركي يرغبون في القيام بزيارة لي ويرجون ارسال زورق في طلبهم والمحافظ ورئيس الجمارك طلباً ايضاً ارسال زورق. فلبينا، بالطبع، هذين الطلبين، وحدد يوم 26 تشرين الثاني موعداً لزيارة القناصل في الساعة 9 صباحاً، ولزيارة المحافظ ورئيس الجمارك في الساعة الواحدة بعد الظهر، ولهذين واولئك ارسلنا قارباً بخارياً إلى المرسى القائم عند دار المحافظ.

في 26 تشرين الثاني الساعة 10 وبضع دقائق، وصل على قارب بخاري قنصلنا اوفسيينكو والقناصل: الفرنسي والهولندي والتركي. وبعد تبادل التحايا عرضت على القناصل جميع اقسام الطراد، وفي الساعة 11 وبضع دقائق غادروا الطراد. مغادرتهم ادينا تحية مدفعية حسب اقدمية القناصل في المراتب.

(ص 76) في الساعة الثالثة إلاّ بضع دقائق وصل محافظ بوشهر تحت علمه المرفوع على مقدمة القارب، وبصحبته رئيس الجمارك، وقائد سلاح المدفعية، ورئيس مركز البريد، والحاشية.

فاستقبلوا بمراسم التشريعات اللائقة، وعرضت عليهم جميع اقسام الطراد اثناء التدريب. واثناء المشاهدة عرضت عليهم الشمبانيا، ولكن المحافظ امتنع عن ذلك بمناسبة شهر رمضان، اما الاشخاص البقاون فقد قبلوها معتبرين انفسهم في رحلة حيث يسمح بالشرب والاكل.

كان هؤلاء الاشخاص مسرورين جداً ودهشوا بما شاهدوه، وكان المحافظ اثناء الطوف بالطراد يشكر على الاستقبال وعلى العرض، ويعرب عن استحسانه لكل ما شاهده. واثار طول الطراد ومداخنه الخمس انطباعاً شديداً في نفوس الايرانيين.

واذ كان الانجليز يعلمون ما الذي يثير الانطباع في نفس هذه الشعوب فقد حاولوا استباق الامور. فقد روى رئيس الجمارك ان الانجليز روجوا، بصدد وصول الطراد، شائعة تزعم انه كانت لدى "اسكولد" ثلاث مداخن فقط، ولكنه نصب مدخنتين اخريين قبل توجهه إلى الخليج العربي.

وقد بينت الرسوم المعلقة عند مدخل غرفتي والصورة الكبيرة للطراد "اسكولد" في سرعته الكاملة، بينت بجلاء للايرانيين الزائرين سخافة الشائعات التي يروجها الانجليز ،وطبيعي ان الانجليز خسروا فقط في اعين الايرانيين لان هؤلاء ادركوا في الفور ان الانجليز يخافون منا طالما انهم ارادوا بمختلف الشائعات الانتقاص من قوة الطراد القادم.

لدى مغادرة المحافظ ورئيس الجمارك ادينا تحية في البدء للمحافظ من 13 طلقة، ومن ثم للموظف من 7 طلقات.

(76 ظهر) ابان زيارة المحافظ للطراد طلبت منه، بناء على نصحية القنصل اوفسيينكو، ان يرسل برقية إلى الشاه الايراني يعلمه فيها اننا متأثرون جداً من الاستقبال الذي احطاتنا به السلطات الايرانية، ونرجوا قبول امتناننا العميق. بعد مغادرة المحافظ ورئيس الجمارك وصلتنا منهما هدية تتألف من سجادة وفواكه (برتقال) وخضار. فارسلت بهدايا جوابية اليهما.

في اليوم نفسه اقيمت عند عميد القنصلية العامة مأدبة غداء دعيت إليها مع 4 ضباط وممثلي السلطات الايرانية.

ونزولا عند طلب القنصل ارسلت إلى هناك جوقة موسيقية اجتذبت جمهوراً من الناس إلى دار القنصل. وتوجهت إلى القنصل على متن قارب بخاري وكان زورق تجذيف مقطوراً خلفه.

بسبب الريح الشديدة وتموج البحر اضطراراً للوصول إلى الشاطئ على متن زورق تجذيف، وسحبناه إلى الشدجئ، اما القارب البخاري فبقى واقفاً بالمرساة في حالة ممتازة. وصل إلى مأدبة الغداء جميع اصحاب السلطة ما عدا المحافظ الذي ارسل من يبلغنا انه لا يستطيع المجيء لانه اصيب بتوعك شديد من جراء الاهتزاز اثناء عودته من الطراد وهو يلزم الفراش بسبب المرض.

وفي المساء عدت مع الضباط على متن البخاري إلى الطراد. فان القارب الذي يتمتع بمزايا ملاحية رائعة، قاوم التموج الشديد بصورة ممتازة.

في 27 تشرين الثاني (نوفمبر) بدأت منذ الصباح باستلام الفحم، ولكن التحميل تعسر كثيراً بسبب تموج مياه البحر، وعند المساء اضطررنا لايقاف التحميل وأعدنا الصنادل إلى المدينة. واذ علم الانجليزبان الطراد سوف يستلم فحماً، اخذوا يسعون لعرقلة الاستلام. (ص77) فهم لم يتجاسروا على منع تسليم الفحم، بل ولم يستطيعوا ذلك لان الفحم ملك خاص، ولذا فقد استولوا على جميع الصنادل لاجل طرادهم، على حد زعمهم، ليحرمونا بذلك من امكانية الحصول على الفحم، ولكنني امرت باستئجار زوارق لصيد السمك، وتم على متنها نقل كل الفحم الذي حصلنا عليه. في مساء اليوم نفسه اقيمت حفلة غداء عند رئيس الجمارك. وقد احاطنا الموظف وجميع اصحاب السلطة، على السواء، بالحفاوة والاهتمام الشديدين. وفي 28 تشرين الثاني عند الساعة الثالثة بعد الظهر انتهيت من تحميل الفحم إذ استلمت منه 3981.5 طناً.

ان وقوف السفن ذات الغاطس العميق في بوشهر امر غير مريح، وهي تضطر للتوقف بعيداً في مكلأ مكشوف؛ والاتصال ردئي، ولا توجد مراس، والمرسى الوحيد هو ذلك القائم عند دار المحافظ والذي ينبغي الوصول إليه بقيادة مرشد بحري من كل بد.

تقع دار عميد قنصليتنا العامة في مكان جيد خارج المدينة، والمكان واسع كفاية.

ان نفوذ الانجليز في بوشهر موجود، بطبيعة الحال وذلك أمر مفهوم تماماً لأن كل شيء هنا في ايدي الانجليز.

فاتصالات البريد البحري انجليزية، ومركز البريد انجليزي، ومركز البرق انجليزي، والانجليز اسياد مطلقون في ذلك كله[1].

(ص77 ظهر) وسفينة المرابطة الدائمة هي سفينة خفر سواحل بريطانية، اما سفن الأمم الأخرى فهي سفن عرضية فقط وتعرج على الخليج بصورة نادرة.

وتوجد تحت تصرف القنصل العام البريطاني سفينة أثناء اقامته في بوشهر، بل ويحق له التصرف ايضاً التصرف بسفن المرابطة الدائمة، بحيث انه تتوفر له في كل لحظة امكانية اما ان يسافر بنفسه واما ان يرسل سفينة عادية أو سفينة مرابطة إلى حيثما يرى ضرورياً.

---

[1] روى القنصل الالماني في بوشهر للمهندس الالماني المسافر على متن طرادنا من قبل شركته، ان الانجليز يفضون ويقرأون جميع الرسائل. وهذا المهندس رأى بنفسه شخصياً، عندما كان في مركز البريد حيث كانوا بالطبع لا يعلمون انه من الطراد، كيف يفضون الرسائل. (ملاحظة من الوثيقة).

ابلغني عميد قنصليتنا العامة اوفسيينكو ان رئيس الجمارك ميال جداً الينا، بل وحتى ان ذلك كان واضحاً من عنايه الخاصة بنا.

اكيد ان وجود امثال هؤلاء الأشخاص وميلهم الينا، أمر مرغوب فيه. واظن ان تقليد هذا الموظف وساماً من شأنه ان يشكل بالنسبة إليه مكافأة كبيرة، وبما انه جنرال وكبير موظفي موانئ الخليج فإن وسام القديس ستانيسلاف من الدرجة الثانية بنجمة يمكن ان يكون مكافأة ملائمة له.

في 28 تشرين الثاني، الساعة 11 مساء، رفعت المرساة لمواصلة السير باتجاه الكويت، وفي 29 منه الساعة الخامسة مساء وصلت الكويت حيث رسوت على عمق ثمانية ساجنات. (...).

(ص 78) لدى وصولي الكويت مساء أنرت المدينة بالمصابيح الكاشفة. في 30 تشرين الثاني صباحاً انزلت القارب البخاري لارسال القنصل اداموف إلى الشاطئ نحو الشيخ، ولكن في الساعة السادسة صباحاً هبت عاصفة فجأة، ودوت ريح شمالية غربية بقوة 8 . 9 عقد رفعت موجة عاتية، وبات من المستحيل ارسال أي قارب إلى الشاطئ.

في الساعة 8 صباحاً انزلت مرساة ثانية. لقد كانت تعصف ريح شمالية غربية شديدة، ولم يكن ثمة أي اتصال مع الشاطئ. ان باستطاعة القوارب البخارية القوية، بالطبع، ان تسير بعكس اتجاه الريح، ولكن ليس ثمة مكان لارسائها، فلا وجود للمراسي، اما الشاطئ حسب رسم الخريطة فهو ضحل المياه ومكسو بالحجارة وبدون موانئ.

وهكذا ذهب يوم 30 تشرين الثاني ادراج الرياح. وفي ليلة 30 تشرين الثاني على 1 كانون الأول كانت الريح معتدلة بقوة تتراوح بين 3 و7 عقد مع عواصف، وفي الجهة الشمالية الشرقية من الأفق كانت تدوي الرعود. وعند الصباح بدأت قوة الرياح تخف. وفي الساعة 7 تحولت إلى شمالية غربية واصبحت قوة تموج البحر 3 عقد.

في الساعة 8.30 من 1 كانون الاول ارسلت قارب تجذيف بقيادة ضابط لينقل القنصل وسكرتيره إلى الشاطئ.

وعند حوالي الساعة 9 صباحاً وصل من لدن الشيخ رسول يحمل تحية، وابلغنا ان الشيخ كان يريد امس السفر إلى الجهرة (مكان اقامة الشيخ في ضاحية المدينة) ولكنه عدل عن رأيه بعد ان رأى الطراد الروسي، وانه لم يأت امس للترحيب بسبب هبوب الريح وانقطاع المواصلات. وقال ان الشيخ في انتظار قنصلنا، وان نجله سيسافر إلى الطراد.

فطلبت من ان ينقل للشيخ امتناني، ويبلغه ان القنصل قد سافر وان القارب أرسل في طلب نجل الشيخ.

عند حوالي الساعة 12 عاد القارب، وارسل الشيخ تحية. وعلى أثر ذلك وصل في قاربه نجل الشيخ الكويتي الشيخ جابر، نجله احمد، وشيخ صغير السن من قبيلة الصباح، والحاشية.

وجرى اطلاعهم على جميع اقسام الطراد. وبمناسبة شهر رمضان امتنعوا عن تناول الطعام. واثناء هذه الزيارة ارسلت من لدن الشيخ 3 عجول و 10 خراف. وقدمت هدية جوابية للشيخ ونجله (مسدس وبندقية صيد).

(ص 79) لدى مغادرة المشايخ ارسلت نائبي مع ضباط والقنصل للقيام بزيارة جوابية. فاستقبل الشيخ الضباط بحفاوة بالغة.

تقع مدينة الكويت في أعلى الخليج العربي على خط العرض 29ز23 درجة N وخط الطول 48.0 درجة ، على الضفة اليسرى لمدخل خليج بالاسم نفسه، خلف رأس العجوز.

ان خليج الكويت، الذي يتراوح عمقه بين 9 و10 ساجنات عند المدخل، يتحول تدريجا إلى مياه قليلة الغور عند الشواطئ، وهو يمتد حوالي 18 ميلاً باتجاه W - O أميال حسب وجهة دائرة N 3 - (......).

إلى عمق البر، وبيوتها مبنية من التربة المحلية للحجر الرملي الصلب، ومجصصة، ودلونا على بيتين . ثلاثة مبنية من الحجر، باعتبارها امراً نادراً جداً لانه ليس في مستطاع السكان المحليين دفع كلفتها، وهي فقط من نصيب العوائل الأكثر غنى. وعند طرف المدينة المحاذي لليابسة توجد سوق تنداح امامها ساحة فسيحة يؤمها العرب من الصحراء جالبين معهم الخيول والثيران والخراف لبيعها. (ص 80) وفي السوق، المؤلفة من عدد كبير من الحوانيت الصغيرة القائمة إلى جانب بعضها البعض، يشاهد المرء جميع الأشياء الضرورية للحياة العربية اليومية:

كوفيات، اقمشة لصنع العباءات والملاحف، تبغ، بن، اشرعة وحبال، اوان صغيرة، مصابيح صغيرة (لوحظ وجود مصابيح كيروسين)، واخيراً في المستودعات: حنطة، وحبوب أخرى كما يبدو.

ان جميع الأشياء الاخرى، باستثناء الحنطة التي يجلبونها بالسفن والقوافل من البصرة وبوشهر، تستورد من الهند عبر بومباي وكاراتشي. وتشحن الحمولات على سفن تابعة لشركتين تعملان في جميع ارجاء الخليج العربي، وهما

Bomby and Persia c, British India، ولكن سفن كلتا الشركتين تعرج على الكويت بصورة غير منتظمة، وذلك فقط عندما تكون ثمة حمولة للتسليم أو للارسال؛ وبالاجمال فإن سفينة واحدة تعرج كل اسبوعين.

لدى كلتا الشركتين في المدينة عميل خاص بهما،احدهما عربي والآخر ارمني يجيدان التكلم بالانجليزية والفرنسية. ويستفاد من اقوالهما ان اشغالهما ليست كثيرة.

يعيش كلاهما في دار الشيخ، وإلى دار الشيخ هذه نقلت السارية التي كانت في السابق منصوبة في فناء أحد العميلين؛ وتستخدم هذه السارية لاجراء محادثات مع السفن، وكل محادثة تجرى،

لاسباب معروفة، تحت اشراف الشيخ. مواد التصدير هي، بالدرجة الرئيسية، اللؤلؤ مع اصدافه، والخيول المرسلة إلى الهند لاجل الخيالة البريطانيين.

(ص 80 ظهر) يتراوح عدد سكان المدينة بين 15 و18 ألف شخص؛ وتتحصر مهنتهم الاساسية في صيد السمك وصيد اللؤلؤ في الارخبيل البحراني، وهذه المهنة وتلك تحتاجان لسفن، ولذا فإن الجزء الرحراح من كل ساحل المدينة يشكل، إذا صح التعبير، ترسانة لبناء واصلاح السفن. فقد امتلأ الشاطئ كله اما بسفن يجري بناؤها واما بسفن سحبت لاجل التصليح. وتصل حمولة أكبر السفن حتى 100 . 120 طناً؛ وجميعها من طراز واحد ومتينة البناء من خشب المالابار، ولدى جميعها شبقة مستقيمة، بدون أية اعوجاجات، مصنوعة من العوارض المتينة، ومركبة بزاوية 45 درجة إلى الارينة؛ مؤخرة مرتفعة قليلاً توجد تحتها ارضية خشبية؛ وجميعها مزودة بصهاريج خشبية لاجل مياه المطر. ان اساليب بناء السفن غير معقدة، وكل الاهتمام ينصب على متانة التركيب، رغم ان لدى بعض السفن بعض التزيينات في مقدمتها، وحتى ان لدى يخت الشيخ، المطلي باللون الأبيض، منظراً خلاباً من حيث خطوطه ومن حيث نظافة الصنع، على السواء. ولكل سفينة صارية واحدة بشراع، وهي تحدث بالاجمال انطباعاً مميزاً لسفينة من القرون الوسطى.

وعلى هذه السفن، التي يصل عددها في الوقت الحاضر إلى 1000 سفينة (كبيرة وصغيرة)، يقوم السكان المحليون من أيار (مايو) حتى تشرين الأول (أكتوبر)، ويزاولون التبادل التجاري سواء مع المدينتين المجاورتين البصرة وبوشهر أم مع المدن البعيدة مثل كارتشي وبومباي، وعلى هذه السفن وهذه المهن، على انتاجها، يستند كل يسر السكان لأن صحراء الجزيرة العربية المترامية خلف هذه المدينة لا تشكل أي مصدر للدخل. (ص ع81). وعلى النقيض من ذلك فإن البحر غني بشتى انواع مصادر الحياة كما لاحظنا أثناء ملاحة الطراد عبر الخليج العربي واثناء الوقوف عند الشواطئ، على السواء؛ ففي كل قارب تقريباً، دنا من الطراد، لاحظنا وجود حضارة بسيطة الصنع، علماً بأن صاحب القارب كان، في الفراغ، ينتشل السمكة تلو الأخرى، والسمك، على ما يبدو، كثيرا جداً، واصطياده عند شواطئ الكويت يجري بابسط الاساليب: فقبل الوصول إلى المدينة تصادف على الشاطئ وعلى امتداده اسواراً من القصب باعداد كبيرة يدخل إليها السمك أثناء المد ويبقى فيها أثناء الجزر.

سكان المدينة، والبدو الرحل القاطنون بمحاذاتها، على السواء، يحكمهم شيخ. وهذا الشيخ كان أثناء زيارتنا، مبارك بن الصباح. يعيش الشيخ في داره الواقع عند الشاطئ مباشرة، الدار ذات مقاييس كبيرة، من طابقين، ولكن طابق شرفات، وامام الدار سارية مرفوع عليها العلم التركي، ويقال ان هذا العلم يرفع لدى وصول كل سفينة.

اما في واقع الأمر فإن الشيخ لا يعترف بسلطة السلطان ولا يدفع أية اتاوات؛ واما حدود ولايته فيستحيل،على ما يبدو، تعيينها بدقة لانه، أثناء وقوع نزاعات مع المشايخ المجاورين له، على ما يبدو، الرحل ، المتواجدون على الأراضي الواقعة، تارة إلى هذا وتارة إلى ذاك تبعاً لميلان كفة ميزان الحرب. (ص 81 ظهر) وتطابق زمن زيارتنا، على ما يظهر، مع زمن السلم، ولم نسمع عن وقوع أي عمل حربي، ولكن منذ سنة ونصف . سنتين فقط شكلت العمليات الحربية مع الشيخ المجاور من نجد حقبة ملحوظة في حياة مدينة الكويت . فقد اضطر الشيخ الكويتي، الذي ضيق عليه جاره واصيب بجراح في إحدى المعارك، لطلب النجدة من الانجليز، لا سيما وان الاتراك ارسلوا سفينة انزال حربية. واوقفت سفينة المرابطة البريطانية، بواسطة التهديد وتصويب المدافع، الهجوم على الكويت وأرغمت السفينة الحربية التركية على العودة ادراجها، ولكن كان يترتب على الشيخ مقابل ذلك الموافقة على اقامة خطوط ملاحة حيث كان ذلك يزيد من اهتمام الانجليز بهذه المدينة، وفي هذه الحالة كان الانجليز يمارسون تاثيرهم، بشكل فعلي، بابقاء سفينة المرابطة هناك، وارسال سفينة خاصة مؤخراً قامت بعمليات تنقيب ضرورية لمد كابل تلغرافي، وتأثيث غرفة استقبال الشيخ على الطريقة الاوربية؛ ففي هذه الغرفة سجادة اوروبية ممدودة من اولها إلى آخرها. وأثاث وثير من مقاعد وارائك على الجوانب وثلاث طاولات؛ وعلى الجدران علقت صور ملك وملكة بريطانيا الحاليين والمملكة الراحلة فيكتوريا.

(ص 82) والتأثير الأوروبي لا يذهب إلى أبعد من ذلك بحيث انه لم ينتهك ابداً السير الاعتيادي لحياة المدينة العربية، ولا يلاحظ وجود منشآت في أي مكان؛ ولم يبدأ العمل لا في مد خط سكك الحديد ولا بتحسين مرافق المدينة باعتبارها ميناء بحرياً. ولم يتسن لنا ان سمعنا شيئاً حتى عن ابحاث بهذا الصدد. الشيخ نفسه، الذي ينم منظره الخارجي عن 50 . 60 سنة من العمر، يثير الانطباع عن حاكم رصين وقاس في الوقت نفسه، وهو يعلم جيداً، على ما يبدو، أية قيمة تتحلى بها مدينة الكويت بوصفها أفضل واقرب ميناء بالنسبة لخط سكك حديد بغداد الجاري تصميمه، ولن يتوانى عن استغلال هذا الوضع لدى الحل النهائي للمسألة.

احيط استقبالنا عند الشيخ بآيات الحفاوة والترحاب؛ وجواباً على تحيتنا ردد الشيخ مراراً، بالمجاملة الشرقية البحتة، كيف انه مسرور جداً برؤية طرادنا في الوقت الحاضر، وانه سيقدم في المستقبل ايضاً اوسع أسباب الضيافة لجميع سفننا، الحربية والتجارية على السواء.

وابدى اسفه لعدم سماعه طلقتنا باستدعاء مرشد بحري، واقترح القيام بذلك في الحال إذا كنا سنبقى في الميناء مدة اخرى، وقال ان الجون يسمح بدخول السفن مسافة أبعد باتجاه الشاطئ، ووعد من كل بد بارسال اناس حاذقين لدى مجيء سفن أخرى. (ص82 ظهر) جرى الحديث كله بواسطة مترجم ارمني عميل لشركة ملاحة كنا نوجه الكلام إليه بالفرنسية فيترجمه إلى اللغة

العربية. ان هذه الحالة اتاحت لي هنا، بالمناسبة، ان الاحظ انه يلزمنا من المحليين الذين يمكن ان يجعل من بعضهم وكلاء مفوضين، بصورة مسبقة بوشهر ولا سيما في البصرة، وهم ضروريون بوجه خاص، لأن لدى اللغة العربية لهجات وهي غير مفهومة دائماً للذين يعرفون اللغة العربية الفصحى. في هذه الحالة كان يساعدنا قنصلنا في البصرة، ولكنه لا يستطيع بصورة دائمة مرافقة كل سفينة، بل وليس من اللائق ايضاً الاستنجاد به في جميع الاحوال.

ان مجئ سفينة عصرية كبيرة يثير في نفس الإنسان الشرقي، بلا شك، انطباعاً هائلاً ويدفعه للتحدث عن ذلك زمنا طويلاً؛ وهذا الأمر لم يغب عن بال الانجليز، وبعد زيارة "فارياغ" في العام الماضي طاف بموانئ الخليج العربي نفسها الطراد الثقيل "Amphitride" الذي تبلغ حمولته 11000 طن وبني عام 1897. ومما لا شك فيه أن الانجليز، الذين يراقبون مياه الخليج بعين ثاقبة، لن يتوانوا عن اتخاذ تدابير من جهتهم بغية الانتقاص، ما امكن، من الانطباع الذي احدثته سفينتنا، (ص83) وانني لادرج في هذه التصورات ايضاً واقع انه أثناء مكوثنا في الكويت لم نجد الطراد البريطاني لانه لم تكن في صالحه مقارنته بالطراد الروسي.

ان جون الكويت هو بالفعل، حسب الخريطة، أفضل اجوان الخليج العربي، ولكن يكفي المرء ان ينوجد في هذا الجون أثناء هبوب الريح الشمالية الغربية، كما حدث لطرادنا، حتى يقتنع في الواقع بأن الشواطئ المنخفضة لا توفر أية حماية لا بوجه الريح ولا بوجه الامواج، وإذا ما قدر لهذا الجون ان يغدو محطة نهائية لخط سكك بغداد فسوف يترتب بذل الكثير من الجهود والاموال والوقت لجعل تفريغ البضائع مريحاً وملائماً. فبالاضافة إلى المراسي سوف يترتب انشاء حواجز امواج ومرافئ. وما الغاية من القيام بذلك كله إذا كانت توجد في الداخل، في النهر، مدينة البصرة المحمية من الرياح ومن الامواج، فيكفي فقط تنظيف القعر الحصباوي للنهر.

في 3 كانون الأول (ديسمبر)، الساعة 6.45، رفعت المرساة واتجهت نحو لنغه بقوة مرجلين بخاريين، وفي 4 منه، الساعة 9.15 صباحاً، رسوت في لنغه على عمق 7.5 ساجنات، في قاع من الطمي، على بعد 1.25 ميلاً عن دار المحافظ. لدى الوصول اديت تحية الامة، وتلقيت تحية جوابية بعدد مماثل من الطلقات من بطارية الساحل المتنقلة (3 مدافع) القائمة عند دار المحافظ.

وتوجه القنصل اداموف مع ضباط إلى عند المحافظ.

وفي الحال جاء إلى الطراد المحافظ حاجي طالب خان بصحبة رئيس الجمارك ميرزا عباس خان وتجار وجهاء والحاشية، للترحيب بالوصول. واطلعناهم على جميع اقسام الطراد.

لدى مغادرة المحافظ اديت تحية من 7 طلقات.

وجاء إلى الطراد للترحيب بالوصول عميل الشركة الروسية للتجارة والملاحة حاجي عبد الرحمن وهو ايضاً عميل للقنصلية الفرنسية. ثم اقترح علينا ان يكون عميلاً لقنصليتنا إذا رغبت الحكومة الروسية في ان يكون لها عميل في لنغة، وإذا ما تمت الموافقة على ذلك فسوف يتخلى عن عمالته للفرنسيين.

(ص 84) في اليوم نفسه قمت بصحبة القنصل اداموف وضباط بزيارة جوابية للمحافظ، فاستقبلت بثلة من حرس الشرف. أثناء الزيارة عرض علينا الشاي والشراب الحلو.

لدى مغادرتنا ادت بطارية الساحل تحية من 9 طلقات.

أثناء جثو الطراد في لنغه جاء على يخته "Lorins" القنصل العام البريطاني.

لدى عودتي إلى الطراد تلقيت ثلاث سجادات مرسلة من المحافظ ورئيس الجمارك وعميل الشركة الروسية للملاحة والتجارة؛ وارسلت إلى هؤلاء هدايا جوابية. بعد اتمام جميع الزيارات اقلعت في اليوم نفسه، الساعة السادسة مساء، باتجاه بندر عباس.

قبل رفع المرساة أعلن سكرتير القنصل اداموف، أثر عودته من الشاطئ، عن رواج شائعة في لنغة تزعم بوجود كوليرا في بندر عباس. لقد كنا جميعاً في لنغه، قابلنا المحافظ وسائر أصحاب السلطة، ولم يخطرنا أحد بذلك، لذا فقد شككت في هذه الشائعة، ومن غير قصد مني نسبت ترويجها فقط إلى القنصل العام البريطاني الذي وصل لتوه، علماً مني بأن الانجليز لا يتورعون عن أي شيء لاجل بلوغ اهدافهم.

لقد كان الانجليز يعلمون علم اليقين ان الطراد سيتجه إلى بندر عباس وكانوا على الارجح، باطلاقهم الشائعة عن الكوليرا، يريدون منع الطراد من التعريج على بندر عباس.

فقررت الذهاب إلى بندر عباس والتحقق هناك، قبل كل شيء، من صحة الشائعة، فإذا كانت صحيحة فسوف اتجه في الحال، دونما اتصال بالساحل، إلى مسقط حيث انزل القنصل اداموف إلى سفينة بريد تنقله إلى مكان عمله. (ص 84 ظهر) في 5 كانون الاول، الساعة 7 صباحاً، وصلت بندر عباس وألقيت المرساة على عمق 5 ساجنات على مسافة 3.6 أميال من المدينة. صادقت في المكلأ السفينة الإيرانية "Persepoles" تحت علم الحاكم العام للخليج العربي ميرزا رضا قولي خان. (.....).

بعد رفع العلم وصل الينا من قبل الحاكم العام ضابط (نائب قائد السفينة) يحمل التهاني بالوصول وابلغني ان الحاكم العام، إذ يرغب في مقابلتي، سينتظر "اسكولد" في بندر عباس ويغادرها خلال ساعتين.

بعد الاتفاق على التحية المدفعية اديت تحية الأمة فتلقيت تحية مماثلة ولكن بعدد غير كامل من الطلقات، لذلك ارسلت ضابطاً مع القنصل اداموف إلى السفينة لاجراء محادثات. (ص 85)

واعلن قائد السفينة انه أدى تحية كاملة فسوف يؤدي التحية ثانية في الحال. وقد اداها بشكل صحيح.

على أثر ذلك اديت تحية لعلم الحاكم العام وتلقيت جواباً بعدد مماثل من الطلقات.

بعد تأدية التحية قمت بصحبة القنصل اداموف بزيارة للحاكم العام. فخصنا باستقبال ودي مرتدياً الزي الرسمي، وطلب منا قبل كل شيء ان ننسى خطأ اداء التحية. فاجبته انه ما دام الخطأ اصلح كما ينبغي اصلاحه فسوف ننسى كل ذلك.

وقال لي الحاكم العام انه كان منذ زمن بعيد يرغب في مقابلتي ولكن الاشغال اعاقته، ولذا فقد قرر انتظارنا في بندر عباس، انه مسرور جداً من كون سفننا تعرج على الخليج العربي.

واخبرني انه بالفعل كانت توجد كوليرا على بعد 50 فيرستا[2] عن بندر عباس وانها توجد الآن ايضاً بصورة طفيفة، وقد اقيمت حجور صحية في كل مكان، ولكن في بندر عباس لا وجود للكوليرا لا في الماضي ولا الآن.

ابلغت الحاكم العام اننا سوف نحتفل غدا بذكرى مجيدة، بعيد قديس جلالة الامبراطور، فإذا كان باستطاعته البقاء يوم غد ايضاً فارجوه المشاركة في عيدنا الاحتفالي، كما ارجوه حضور الصلاة ومأدبة الفطور. فقبل الحاكم العام الدعوة بكل امتنان.

(ص 85 ظهر) لدى مغادرتي السفينة أديت تحية من 15 طلقة، ونظراً للصداقة التي تربط بيننا اجبت من الطراد بتحية مماثلة.

في اليوم نفسه أرسل محافظ بندر عباس وحيد الملك شقيقه إلى عندي في زيارة، لانه كان شخصياً منحرف الصحة، كما قام رئيس الجمارك بزيارة لنا ايضاً.

ودعوت ليوم 6 كانون الأول إلى الصلاة الحاكم العام وقائد سفينة "Persepolis"، وإلى مأدبة الفطور. بالاضافة إلى هذين الشخصين. شقيق الحاكم العام ومحافظ بندر عباس وشقيقه ورئيس الجمارك.

في 6 كانون الاول، الساعة الثامنة صباحاً ازداد الطراد بالاعلام. وبعد القداس الالهي اقيمت صلاة الشكر التي حضرها الحاكم العام مع قائد السفينة مرتديين البزة الرسمية.

وبمعية الحاكم العام وسائر الأشخاص المدعوين، الذين وصلوا حتى هذا الوقت، استعرضت أفراد الطاقم محييا ومهنئاً اياها باليوم بالاحتفال الرفيع. بعد الاستعراض شربت نخب الصحة الغالية لجلالة الامبراطور فارتفعت الهتافات وعزف النشيد، ومن ثم نخب صحة الشاه الإيراني وسط الهتاف والموسيقى العسكرية.

---

[2] الفيرستا يساوي 1060 متراً. الناشر.

في الساعة 12 اديت من 31 طلقة، وادت سفينة "Perespolis" وبطارية الساحل تحية من 31 طلقة.

بعد هذا الاحتفال جرى اطلاع الضيوف على جميع اقسام الطراد، وعلى أثر مشاهدة الطراد اقيمت مأدبة فطور.

(ص 86) كان الحاكم العام وجميع الأشخاص المدعوين مسرورين ومتأثرين جداً من الدعوة ومشاهدة الطراد والفطور.

واثناء مأدبة الفطور شربت نخب جلالة الامبراطور ونخب صحة الشاه الإيراني.

وشكرني الحاكم العام جزيل الشكر على الدعوة لحضور الصلاة، وقال ان صلاتنا للقيصر هي صلاتهم هم ايضاً؛ ودهش جداً من رهبة الهيكل ومن تراتيل المغنين وقال انه الشخص الإيراني الوحيد، على الارجح، الذي تسنى له حضور قداس كنائسي روسي.

عند حوالي الساعة الرابعة انتهت مأدبة الفطور، وسافر الضيوف مسرورين حاملين معهم ذكريات لمدة طويلة عن الاحتفال المهيب بعيد قديس جلالة الامبراطور.

وفي المساء اضيأت المصابيح الكهربائية.

لدى مغادرة الحاكم العام للطراد اديت تحية مدفعية ردت عليها سفينة "Persepolis" بعدد مماثل من الطلقات.

في اليوم نفسه بعد تناول الحاكم العام طعام الغداء ذهبت مع القنصل اداموف إلى عند الحاكم العام لشكره على مشاركته في احتفالنا. ولدى مغادرتي السفينة جرى تأدية تحية من 15 طلقة، فرددت عليها من الطراد.

قبل انزال العلم دخلت المكلأ سفينة خفر السواحل البريطانية "Corssak" وسفينة خفر السواحل البريطانية "Corssak".

بقيت يوم 7 كانون الأول في بندر عباس لكي ارد الزيارة لمحافظ بندر عباس على الشاطئ، ونجز كتابة البلاغ عن ملاحة الطراد في الخليج العربي، الذي سلمته للقنصل ادموف لينقله إلى عميد القنصلية العامة في بوشهر الذي طلبت منه ان يسلمه للواء البحري البارون شتاكيلبرغ.

أثناء الطواف بموانئ الخليج قدم لي قنصل البصرة اداموف مساعدة هائلة وعونا تاماً، ولولا مساعدته هذه لما كنت استطعت، لجهلي اللغة المحلية، اداء مهمة الطراد في هذه المهلة القصيرة.

وقال لي الحاكم العام للخليج العربي ميرزا رضا قولي خان انه يعود كثيراً ارسال شقيقه وابنه للتعليم في روسيا: ابنه سالار معظم تالي خان، وعمره 10 سنوات، إلى الخدمة العسكرية،

وشقيقه سالار معظم محمد خان، وعمره 15 سنة، إلى معهد الحقوق، وطلب مني مساعدته في ذلك.

انني، إذ اتشرف بالإبلاغ عن ذلك، التمس شفاعة سموكم الامبراطوري في تطمين هذا الطلب.

(ص 87) في 8 كانون الأول غادر قنصل البصرة اداموف الطراد إلى الشاطئ لانتظار وصول سفينة البريد، وفي الساعة 8 مساء اقلعت بقوة ثلاثة مراجل بخارية إلى كاراتشي لأن في غوا، حسب المعلومات التي تلقيتها، لا يوجد فحم، بينما لا تكفي الكمية الموجودة على الطراد لاجل السير مباشرة نحو كولمبو.

وابلغني قائد السفينة البريطانية، التي اتجهت ايضاً إلى كاراتشي، انه لا يوجد في كارتشي أي وباء للطاعون والكوليرا، فالطاعون موجود دائماً وفي كل مكان من موانئ الهند ولكن ذلك ليس وباء بل مرض عادي متفش وسط السكان الزنوج.

في 10 كانون الأول، وبغية الوصول إلى كاراتشي قبل عيد الميلاد والتمكن من أخذ الفحم على الفور، قمت في الساعة الرابعة بعد الظهر بتشغيل المرجل الرابع ومحركين جانبين.

وفي 11 كانون الاول، الساعة 11.20، صعد المرشد البحري إلى الطراد، واطلقت تحية الامة، وتلقيت تحية جوابية بالعدد نفسه من الطلقات، وسرت إلى داخل النهر، وفي الساعة 1.20، رسوت عند المرسى. (...).

(ص 87 ظهر) لدى الرسو عند المرسى طلبت وضع قوة بوليسية لمنع دخول أحد إلى الطراد، وحظرت إجراء أي اتصال مع الشاطئ لكي اقي الطراد بكافة الوسائل واتحاشى الحجر الصحي في كولمبو.

ورفعت علم الحجر الصحي، وهذا الاجراء كان أشد الاجراءات فعالية بوجه الزوار اللجوجين.

وبما انني لم اكن على اتصال بالشاطئ فلم اقم بزيارات، وبعثت برسائل تلقيت اجوبة لطيفة جداً عليها. واتفقنا بصدد الفحم، وتعهد المورد بتسليم الفحم في الساعة الحادية عشرة.

غير ان الأمور لم تجر على هذا النحو. الصنادل الأولى وصلت عند حوالي الساعة الثامنة فقط، بينما بدأ التحميل في الساعة الثامنة مساء.

الجانب الايمن من الطراد، البعيد عن المرسى، حمله سكان محليون في عنابر الفحم، والجانب الايسر جرى تحميله برافعة من المرسى؛ كان الفحم يرفع إلى ظهر الطراد ويضعه أفراد الطاقم في العنابر بحيث ان احداً من السكان المحليين لم يطأ متن الطراد.

كانت عملية التحميل بطيئة، وكانت بطيئة بالدرجة الرئيسية عملية تعبئة الصنادل ونقلها من الشاطئ عبر مياه عميقة. واثناء الجزر ووسط المياه القليلة العمق كان السكان المحليون ينقلون الفحم من المستودع إلى الصنادل في سلال على الرأس عبر المياه. وبالاجمال فإن مسألة تزويد

السفن بالفحم هنا غير منظمة. وكمية قليلة، واضطررنا لاخذ 600 طن من ثلاثة تجار فحم.
(ص 88) بعد العمل نهاراً وليلاً انهيت عند الساعة 11 مساء من يوم 13 كانون الأول من تحميل الفحم، واقلعت بمساعدة المرشد البحري ورسوت في المكلأ الخارجي على عمق 7 ساجنات لكي اقوم، بعد عملية تحميل دامت ثلاثة أيام متواصلة، بغسل الطراد من اعلاه إلى اسفله واعطاء الفرصة لافراد الطائم للاغتسال في الحمامات.
ان ميناء كاراتشي، كميناء تجاري، مجهز بالمعدات ولديه مرسى كبير لاجل رسو السفن التجارية وعدد وافر من الرافعات المتحركة.
يقع الفحم على الضفة المقابلة التي لا توجد فيه مراس. وقد استلفت ذلك انتباه الانجليز، واخذت مسألة الفحم تنتقل إلى الإدارة البريطانية، وسوف يجرى هناك بناء عنابر ومراس ذات رافعات.
في شهر حزيران (يونيو) من هذا العام ضرب كاراتشي اعصار خرب السد وعدداً من المنشآت على الشاطئ Monora حيث يوجد ميناء عسكري.
في 14 كانون الأول (ديسمبر)، الساعة السادسة مساء، رفعت المرساة واتجهت نحو كولومبو بقوة ثلاثة مراجل بخارية. كانت الريح OSO بقوة عقدتين، وتموج البحر بقوة عقدة واحدة.
(ص 88 ظهر) وفي 20 منه اقتربت من كولومبو واصعدت المرشد البحري ومررنا بالمضحل، ورسوت بمرساتين في الساعة 7.35 صباحاً. ورفعت علم الحجر الصحي، ولكن بما انه لم تكن لي أية صلة مع الشاطئ في كاراتشي فقد الغى الحجر الصحي بعد نصف ساعة...
.......أثناء وقوف الطراد الموكل الي في بورسعيد اتاني بوريس شيلكوفنيكوف عضو الشرف في معهد علم الآثار، عضو الجمعية الجغرافية الامبراطورية، وقدم نفسه بصفة نقيب في سلاح المدفعية ارسلته الدائرة العسكرية القفقاسية إلى بغداد، وانتظر وصول سفينة عرضية لتقله إلى الخليج العربي، وإذ علم بوصول الطراد رأى من واجبه ان يحضر إلى عندي ويطلب مساعدتي لانه لا يعرف اطلاقاً كيف ومتى يمكنه الوصول إلى المكان المقصود إذ ان سفن الشحن لا ترغب كثيراً في أخذ ركاب على متنها، ولا توجد سفن سفريات منتظمة إلى الخليج العربي.
(ص 89) وابلغه سفيرنا في القسطنطينية ان "اسكولد" متجه نحو الخليج العربي، ولذا فقد عول عليَّ وطلب مساعدتي. وإذ كان لا يحق لي افشاء سر ارسال الطراد إلى الخليج العربي فقد قلت له ان الطراد لن يذهب إلى الخليج العربي، بل إلى عدن وكولومبو، وجل ما كنت استطيع عمله هوان انقله إلى كولومبو بعد استئذان الرئاسة، ومن هناك تسير سفن ركاب سريعة إلى بومباي وكاراتشي، ومن كاراتشي اسبوعياً إلى الخليج العربي.
من احاديثي مع بوريس شيلكوفنيكوف استطعت ان اتأكد من انه بالفعل ضابط في سلاح مدفعيتنا، بالاضافة إلى انه انوجد بين ضباط الطراد أشخاص يعرفون شقيقه. وابرز لي جميع

الوثائق التي لم تكن توجد لديه وثائق عسكرية مما أثار الدهشة لدي، ولذا فقد ابلغني بانه، عملاً باقتراح سفارتنا في القسطنطينية، ترك جميع الوثائق العسكرية في السفارة لكيلا تفشى هذه الوثائق سره بطريقة عرضية.

وإذ وجدت ان جميع وثائقه صحيحة (لم تكن لديه وثائق عسكرية قد تفشي سره، بل كان يدعي بأنه عالم مسافر لاجراء ابحاث، ولكنه كان في الواقع يؤدي مهمة عسكرية خطيرة) قررت تقديم عون تام له. (ص 89 ظهر) وقلت له انني سآخذه حتى عدن واطلب في الحال اذنا بايصاله إلى كولومبو، ولكن ساتلقى الجواب في عدن فقط، فإذا تلقيت الاذن في عدن فسوف انقله لاحقاً، والا فسوف اتركه في عدن حيث باستطاعته الابحار لاحقاً على متن سفينة ركاب.

وبعد ان ارسلت برقية بالشيفرة إلى رئيس اركان البحرية العامة، طلبت من شيلكوفنيكوف ان ينتقل إلى الطراد عند المساء لانني ساغادر في صباح اليوم التالي الساعة السابعة.

واعلن النقيب شيلكوفنيكوف انه مع زوجته، مما عقد الأمر بعض الشيء، ولكن وجود زوجته كان أفضل ايضاً من حيث اخفاء مهمته الحقيقية.

فأخذت كليهما، وعند المساء انتقلا إلى الطراد؛ وخصصت لهما مكاناً في مسكني في الغرفة الاحتياطية.

في عدن تلقيت اذنا بنقل النقيب شيلكوفنيكوف إلى بوشهر إذا كانت وثائقه صحيحة.

نقلته إلى بوشهر وسلمته لعميد القنصلية العامة.

بعد طوافي بكل الخليج العربي وزيارتي لاهم موانئه استخلص الاستنتاجات التالية:

. صادفت في كل مكان استقبالاً لطيفاً للغاية، بل ويمكن القول استقبالاً مليئاً بالترحاب الودي، من جانب جميع أصحاب السلطة والسكان. وفي كل مكان كان عدد الزائرين كبيراً، وسمحنا للجميع، كبيرهم وصغيرهم، بمشاهدة الطراد؛ وأرينا الجميع كل شيء، وكان الزائرون، لدى مغادرتهم، يشكرون على حسن الضيافة.

. أثار الطراد انطباعاً قوياً في نفوس الناس العاديين بطوله، (ص 90) وبمداخنه الخمس على الاخص، وبمنظره، وبقوة مدفعيته.

. لا يمكن اعتبار الملاحة في الخليج ملاحة هادئة ومريحة:

أ . الخرائط غير متقنة اطلاقا.

ب . المواقف غير مريحة وغير منظمة البتة، ولا وجود لاية مراس في أي مكان.

ج . في الموانئ لا يوجد فحم، والماء رديء وجلبه أمر شاق للغاية والمأكولات رديئة وبكمية محدودة للغاية.

د . المياه في الخليج العربي رديئة جداً وتلوث جسم السفينة، وقد قال قائد السفينة البريطانية "Corssal" انه في غضون أربعة أشهر من الملاحة في الخليج تلوثت سفينته كثيراً لدرجة انها فقدت سرعة عقدتين فاصبحت تسير بسرعة 7 عقد بدلا من 9.

. الفقر المدقع بارز في كل مكان في جميع الموانئ، والمدن تفتقر لاسباب الراحة، وقذرة، والناس يعيشون عيشة فقيرة للغاية.

. جميع السلاطين والمشايخ والمحافظين، الذين يحبون كثيراً التبجيل والتحيات المدفعية، يعيشون بصورة لا تليق بالمحافظين اطلاقاً. والشخص الوحيد . الحاكم العام للخليج العربي . هو بالفعل شخص صاحب سيادة ومثقف ومتمدن.

. ان نفوذ الانجليز كبير بالطبع، (ص 90 ظهر) ولا غرابة في ذلك لأن جميع أسباب الراحة الزهيدة المتوفرة هنا هي من الانجليز: البريد، البرق، المواصلات البحرية، ويعني ذلك ان استيراد كل شيء ضروري.

والعلم المرفوع دائماً في الخليج هو العلم البريطاني، الحربي والتجاري، اما الاعلام الأخرى فنادرا ما تشاهد هنا.

جميع السجاجيد، التي اهدوني اياها في الخليج العربي، امرت بتسجيلها في سجل الشؤون الادارية.

جميع الخضراوت سلمتها لافراد الطاقم.

الهديتان الباقيتان من المبلغ المخصص لي سأتشرف بتسليمهما إلى قائد اسطول المحيط الهادي.

قائد الطراد الثقيل "اسكولد"

العقيد البحري رايتسينشتاين

ملاحظة

1 . قائد اسطول المحيط الهادي الأمير الأكبر الكسي الكسندروفيتش.

رسالة الأركان البحرية العامة الفريق البحري افيلان إلى لامزدورف (بصدد ارسال ولدي الحاكم العام لموانئ ومقاطعات الخليج العربي إلى روسيا طلباً للدراسة) بتاريخ 13 أيار (مايو) 1903، رقم 1940

وزارة البحرية،

الأركان البحرية العامة

ملف رقم 417، القائمة 1، الاضبارة رقم 2531،ص 240 . 240 ظهر.

تطبع وفق نسخة الآلة الكاتبة المصادق عليها

تنشر لأول مرة

سيدي الكريم

الكونت فلاديمير نيقولاييفيتش

ان قائد الطراد الثقيل "اسكولد" العقيد البحري رايتسينشتاين ابلغ في تقريره عن جولة الطراد في العام الماضي على موانئ الخليج العربي ان الحاكم العام لموانئ ومقاطعات الخليج العربي ميرزا رضا قولي خان سالار معظم طلب المساعدة في ارسال ابنه، البالغ من العمر عشر سنوات، سالار معظم تالي خان، وشقيقه البالغ من العمر 15 سنة، سالار معظم محمد خان، إلى روسيا للدراسة: الابن للاعداد للخدمة العسكرية، والشقيق لدراسة الحقوق.

من المستحسن، بصدد ما ورد في التقرير الانف الذكر حول التماس الحاكم العام المرفوع إلى جلالة الامبراطور، الإعلان عن الموافقة على قبول هذين المواطنين الايرانيين اليافعين للدراسة في روسيا، وابلاغ معاليكم بهذا الأمر واحاطة وزارة الحربية علماً بذلك.

واني، إذ احيط معاليكم علماً بذلك، لي الشرف ان اضيف اننا ابلغنا ذلك لوزارة الحربية ايضاً.

ارجوكم، سيدي الكريم، قبول خالص احترامي وولائي التام لكم.

التوقيع: افيلان

نسخة عن بلاغ عميد القنصلية العامة الامبراطورية الروسية في

بوشهر السيد اوفسيينكو إلى السيد المبعوث الامبراطوري الروسي في طهران، بتاريخ 12 شباط (فبراير) 1903، رقم 79

ملف رقم 417، قائمة 1، اضبارة رقم 2548،ص 108 . 108 ظهر.

تطبع وفق نسخة الآلة الكاتبة

تنشر لأول مرة

(ص 108) لي الشرف ان ابلغ معاليكم انه في النصف الثاني من شهر كانون الثاني (يناير) الماضي زارت الخليج العربي الدارعة الثقيلة البريطانية "Renown' التي اقلت، قبل ذلك، دوق كوناوت مع حاشيته من بريطانيا إلى الهند بصفته ممثلاً للعائلة الملكية في احتفالات دلهي.

ان الدارعة المذكورة،التي يبلغ طولها 380 قدماً وعرضها 72.30 قدماً وغطاسها 26.75 قدماً وحمولتها 12350 طناً وسرعتها 18 عقدة ومجهزة بـ 44 مدفعاً من عيارات مختلفة وخمسة أجهزة الغام وعلى متنها طاقم من 674 شخصاً، تعتبر من حيث حمولتها اضخم سفينة حربية زارت الخليج العربي حتى الآن. (ص 108 ظهر) ومع ذلك فإن الدارعة "Renown" لم تحدث أي انطباع في نفوس السكان الاصليين لأنها لم توفر لهم، بسبب مكوثها القصر جداً في مياه الخليج، امكانية رؤية السفينة الجديدة والتعرف عليها. وفي بوشهر جثت الدارعة البريطانية

في المكلأ الخارجي، غير المرئي جيداً من الشاطئ، 3 . 4 ساعات فقط، وتبادلت تحية الأمة (التي لم تسمع اطلاقاً على الشاطئ) مع سفينة خفر السواحل الإيرانية "Persepolis"، وسارعت في مغادرة المرفأ دون أي اتصال مع الشاطئ.
وتكرر الشيء نفسه ايضاً في مينائي الخليج الآخرين: لنغه وبندر عباس؛ وهكذا فلا أحد تقريباً من السكان الاصليين هنا يعلم بتعريج الدارعة "Renown" على الخليج العربي، ويمكن التأكيد بلا تردد على ان الهدف الرئيسي لارسال الحكومة البريطانية الهندية الدارعة "Renown" إلى هنا، أي شل الانطباع الذي تركه هنا الطرادان الثقيلان الروسيان "فارياغ" و"اسكولد، لم يتم بلوغه اطلاقاً في هذه المرة على أقل تقدير.
من تقرير قائد الطراد الخفيف "بويارين" المقدم البحري سار يتشيف (بصدد زيارة موانئ الخليج العربي)
ملف رقم 417، قائمة 1، اضبارة رقم 2613، ص 88.74، 91 . 100 ظهر. يطبع وفق نسخة الآلة الكاتبة المصادق عليها
ينشر لأول مرة
لي الشرف ابلاغ سموكم الامبراطوري(1) انه، في 19 كانون الثاني (يناير) 1903 وبعد زيارة الطراد من جانب معالي اللواء البحري البارون شتاكيلبرغ، رفعت المرساة في الساعة 10.5 للتوجه بصحبة الطراد الثقيل "ديانا" إلى بور سعيد. (...) وفي الساعة 6 من صباح يوم 21 كانون الثاني (يناير) ظهر الشاطئ؛ ورفعت علم الارشاد البحري، وفي الساعة 7.40 دخلت بور سعيد بمساعدة المرشد البحري ورسوت مقابل ثكنة بريطانية في المكان المخصص لوقوف السفن الحربية. وتبادلت الزيارات مع القنصل، وشرعت باستلام الفحم، ومن ثم تبادلت الزيارات مع قائد سفينة المرابطة البريطانية "Randora" التي وصلت لتوها وقائد الطراد المدرع الهولندي "Piet Hein". في بور سيعد اضطررت، بمقتضى تقرير طبيب السفينة وقرار لجنة اطباء من "ديانا" و" بويارين"، لأن انقل إلى متن "ديانا" رئيس اقسام العنابر كريسكوفيتس لارساله إلى الطاقم، وذلك نظراً لقرب مغادرة الطراد إلى الجنوب، لانه كان مصاباً بالتهاب رئوي مزمن شديد.
(ص 74 ظهر) بعد استلام جميع المواد الضرورية وتلقى برقية بالشيفرة تحت رقم 122 اتجهت عند حوالي الساعة العاشرة من صباح 24 كانون الثاني، بمساندة المرشد البحري، نحو قناة السويس. (......).
في الساعة الخامسة من صباح 25 كانون الثاني، وبعد استقبال المرشد البحري واضاءة الطريق بالمصابيح الكاشفة حتى بزوغ الفجر، واصلت السير عبر القناة، وفي الساعة 12.35 رسوت في خليج السويس إذ انني كنت ازمع قبل دخول البحر الأحمر تحديد انحراف البوصلات. ولدى

مروري إلى جانب المرسى لاحظت وجود لنش معد لقنصلنا السيد Costa الذي كان على اتم الاستعداد للسفر إلى الطراد، وإذ افترضت انه قد تكون لديه برقيات وتعليمات قررت الرسو والوقوف حتى الساعة الثالثة لكي يكون بالإمكان فيما بعد تحديد انحراف البوصلات لدى الاقلاع. ولم اؤد التحية المدفعية لدى دخولي بورسعيد لانني لم اكني وحدي بل مع الطراد "ديانا" الذي لم يؤد التحية، وتحادثت مع القنصل في بورسعيد الذي اعرب عن الرأي بأنه يكون من المستحسن تأدية التحية في بورتوفيق في السويس. (ص75) لذا، فلدى الرسو اديت تحية من 31 طلقة مع رفع العلم المصري وتلقيت تحية جوابية من طابية السويس بعدد مماثل من الطلقات. ولدى مغادرة القنصل اديت تحية حسب المقام، وفي الساعة 3 و5 دقائق رفعت المرساة لمواصلة الملاحة. (......) في الجزء الجنوبي من البحر الأحمر بنيت في جزر Jebel Fair و Jebel Jelair وِAbu Ali منارات جديدة واصبحت جاهزة لاطلاق الاضواء. وقد بنتها شركة المهندسين الفرنسيين التي ستسلمها إلى الحكومة التركية. ان المنارات تقع في مكان ممتاز وستكون مناسبة جداً في هذا الجزء من البحر الأحمر.

(ص 75 ظهر) في 30 كانون الثاني، الساعة الثامنة صباحاً، دخلت مكلأ جيبوتي وأديت تحية الأمة من 21 طلقة وتلقيت جواباً عليها بعدد مماثل من الطلقات من الطراد الخفيف الفرنسي "Infernet" الجاثم في المكلأ. بعد انزال المرساة تبادلت الزيارات مع قائد الطراد المقدم البحري O Hespel، ومحافظ الشاطئ الفرنسي الصومالي السيد Bonhour، ولدى مغادرة المحافظ الطراد اديت تحية من 15 طلقة. وزارني على متن الطراد عميل شركة Messageries Maritimes Marichal، وهو في الوقت نفسه نائب القنصل الروسي، وعلمت من استفساراتي له ان هذه الشركة يمكن ان تقدم فحم Hardiff بسعره فقط، أي بـ 55 فرنكا، فبدا لي ذلك غالياً، وفضلت الذهاب، بادئ الأمر، إلى عدن في طلب الفحم. ثم اتضح ان ممثل شركة أخرى للسفن يسلم الفحم بسعر 45 فرنكا. فرايت ان هذا السعر مقبول، وإذ لم ارغب في التعريج على عدن قبل دخول الخليج العربي قررت أخذ الفحم وكل ما هو ضروري في جيبوتي، سيما وان ذلك كان يتيح لي امكانية الاتفاق نهائياً مع قائد الطراد "Infernet" بشأن العمليات اللاحقة في الخليج العربي، علاوة على ان ذلك اتاح لرئيس فرقة الميكانيكيين تنظيف المراجل، التي عملت طوال 159 ساعة سابقاً، قبل الابحار في هذه الاماكن حيث سيصبح من المستحيل التوقف وتوفير كل ما هو ضروري من مواد التنظيف ومياه الشفة. (.....).

(ص 76) بما انه كان من المفترض سابقاً الذهاب إلى جيبوتي لحضور الاحتفال بتدشين خط سكة الحديد فقد تطرقت الاحاديث مع ممثلي الادارة، بصورة عفوية، إلى هذا الموضوع وكان

بعضهم يؤكد مباشرة على ان نيغوس[3] لن يوافق مرة اخرى، على الارجح، على المجيء إلى جيبوتي إذ انه قلما يرغب في مغادرة بلاده لانه يتخوف دائماً، وعدد أفراد حراسة لا يقل عن 20 . 30 ألف حارس، من حدوث اضطرابات في الحبشة حيث وضع الأمور متقلقل للغاية بوجه عام. فلكل قوم من الاقوام المتآلفة في الحبشة حيث وضع الأمور متقلقل للغاية وكل واحد منها، بالطبع، يسعى لمساندة عرقه. وفي الاونة الأخيرة لوحظ اشتداد نشاط الايطاليين الذين ينفقون مبالغ طائلة من النقود على الهدايا والرشوات.واعرب سكرتير المحافظ عن افتراض محتمل مفاده انه بعدموت نيغوس سيحل زمن الفتنة والشغب في الحبشة رغم انه يوجد وريث ما من بيت نيغوس يتمتع حتى بالهيبة وبعض الولاء من جانب الشعب، وقد تم انتخابه من قبل نيغوس بناء على تعليمات ونصائح السيد ايلغ، سكرتير نيغوس الشخصي، لانه بعد موت نيغوس ستحدث، على الارجح، عمليات شغب وضرب الاوروبيين ضرباً مبرحاً وهو أمر لايشكون في جيبوتي بوقوعه وحتى انه يقال انه يمكن ان ينشأ بعد وفاة نيغوس نزاع شديد بين فرنسا وبريطانيا بسبب الحبشة لأن فرنسا لن تجيز بأن يستولى أي أحد كان على الحبشة لأن منابع نهر النيل كانت دائماً بمثابة

مفتاح إلى مصر؛ أما الحبشة فتقع في الطريق إلى هذه المنابع. وكل الحملة البريطانية ضد الملا المتمرد، انما هي موجهة في الواقع نحو الحصول على امكانية حشد القوات دائماً على مقربة من الحبشة. وتنوي الحكومة الفرنسية، إذا ما دعت الحاجة انشاء معسكر محصن في جيبوتي في القريب العاجل وابقاء القوات من الساحل الصومالي. (ص 76 ظهر) اما في الوقت الحاضر فما دام خط سكة الحديد لم يمد بعد حتى اديس ابابا فمن غير المناسب اثارة ارتياب الحبشة إذ قد يحدث ان البناء اللاحق للخط سيوقف تماماً بناء على ارادة نيغوس الذي تحرضه بريطانيا وايطاليا دائماً ضد بناء هذا الخط؛ علماً بانهما توحيان لنيغوس بأن هذا الخط هو بداية استيلاء فرنسا على الحبشة.

لا توجد في جيوتي في الوقت الحاضر أية قوات مسلحة فرنسية، توجد فقط فرقة حراسة من الميليشيا الصومالية تقوم في آن واحد بدور الشرطة في المدينة وعلى خط سكة الحديد.

في جيبوتي مكلأ مريح ورحب جداً يمكن القيام فيه بجميع عمليات الرسو وحتى اطلاق النار المساعد، الأمر الذي أذن لي به المحافظ بكل لطف، وهو يحمل لقب

Gouverneur de la Cote Francaise de Somale؛ ولهذا المرفأ اتصال تلغرافي مع بيريم، وبالتالي،مع أوروبا والعالم كله.ومرتين في الأسبوع يأتي البريد على متن سفن .Mes

[3] نيغوس: امبراطور اثيوبيا . الناشر.

Mar. C de I Afrique Orientale. وتملك كلتا الشركتين مستودعا للفحم من النوع الجيد تصل كميته حتى 4000 طن، وتبيعانه (...). واعتقد ان كلتا الشركتين يمكن ان تبيعا الفحم لسفننا إذا طلبنا ذلك، وحتى بسعر أقل. يوجد ماء لا بأس بنوعيته مخلوط بجزء غير كبير من المغنيسيوم والشب، حسب الاذواق، وهو صالح حتى للشرب. (ص77) يمكن جلب الماء مرتين في اليوم تبعاً للمد والجزر، بكمية تقارب 20 . 50 طناً في الصندل. علماً بأن سعره مرتفع . حوالي 5 فرنكات للطن الواحد. الآبار قائمة خارج المدينة، ولكن توجد في المدينة خزانة ذات احتياطي من حوالي 4000 طن في حال تعطل قسطل اسالة المياه. المأكولات تتوفر حتى الآن بكمية غير كافية من اللحم الطازج والخضار، ولكن في القريب العاجل سوف تجلب بكمية أكبر لأن المزارع تنظم اعمالها وفق خط سكة الحديد الجديد، بينما تسمح الظروف المناخية بزرع كل ما ينبت في الجزائر. حرارة الجو الآن، أي في أشهر الشتاء، تصل في النهار حتى 25 درجة واكثر، بينما تهبط في الليل حتى 17 درجة، والهواء جاف بحيث من السهل تماماً تحمل القيظ. المناخ صحي، ولكن الطقس حار جداً في الصيف.

نائب قنصلنا، وهو في القوت نفسه ممثل شركة Mess. Mar. Marichal، قدم لي عن طيبة خاطر مساعدة في استلام الفحم الذي اشتريته من مستودعات

C de I Arrique Orientale بسعر 45 فرنكاً للطن الواحد مع التحميل، أي اغلى بـ 6 شلنات للطن مقابل أسعار العقود في عدن، وليس من مستودعات Mess. Maritimes حيث السعر 55 فرنكا رغم ان هذه الشركة اقرضت الفحم هذه المرة C de I Arrique Orientale التي لم تتلق الفحم لأن السفينة، التي كان ينبغي عليها نقله، غرقت كما يقال أو اصيبت بحادث. لا أعرف بالضبط.

أثناء التوقف تم تنظيف المراجل وغسلها بالمياه العذبة قبل التوجه إلى الخليج العربي حيث يمكن الحصول على المياه بصعوبة شديدة وبكمية قليلة. لقد استلمنا كمية كبيرة من الفحم بحيث امتلأت حتى الممرات بين العنابر، وقد غير ذلك غاطس الطراد وأحنى مقدمته، الأمر الذي اجزته بحكم الضرورة وانا اعلم ان في شهر شباط (فبراير) لن اصادف تموجاً كبيراً وريحاً موسمية شديدة القوة. وعلى العموم فإن تحميلاً كبيراً كهذا للطراد أمر غير مرغوب فيه البتة لأن يعسر ملاحته للغاية ولا سيما لدى وجود ريح مؤاتية. (ص 77 ظهر) وبالاجمال، أعتقد ان وضع الفحم والمراجل والثقل غير موفق تماماً من حيث تغير المزايا الملاحية للطراد لدى وجود تحميل فائق. كثير من الاثقال في المقدمة وكمية غير كافية منها في المؤخرة بحيث ان الانحناء في المؤخرة، لدى السير بقوة 6 مراجل خلفية، يتغير في اتجاه غير ملائم (....). عشية الاتية، كما كنت اعلم، من موانئ الخليج العربيِ؛ ومن دواعي الاسف ان هذه السفينة كانت ترفع علم

الحجر الصحي، ولذا لم استطع التحدث بالتفصيل مع قائدها الذي يقوم بهذه الرحلة منذ أكثر من مرة. وعلى كل حال فقد اخبرني في حالة جيدة، وبالنسبة للامراض قال انه لم يسمع شيئاً لا في بوشهر ولا في بندر عباس بصدد وبائي الكوليرا والطاعون، ولكن في مكان غير بعيد عن بندر عباس حدثت بعض الاصابات الفردية (القليلة جداً) بالكوليرا. ونصحني قائد "تروفور"، بين أمور أخرى، باقامة اتصال مع ممثل الشركة الروسية للملاحة والتجارة غوغويه في مسقط المطلع، حسبما قال، على الاوضاع في الجزيرة العربية وعمان، ويعرف لحد ما الخليج العربي، وبالتحديد، جزر البحرين الواقعة تحت النفوذ البريطاني والتي تشغل مكاناً مثيراً للاهتمام في الخليج بوصفها موقعاً شهيراً منذ العصور القديمة لصيد اللؤلؤ، ولكن زيارتي له غير واردة في البرنامج.

(ص78) قبل مغادرة الطراد "Infernet" جيبوتي، والذي كان ينبغي له مغادرتها إلى مسقط قبل يومين من اقلاع "بويارين"، لأن قائده كان يستعجل في القيام بجولة على موانئ الخليج، طلب منه، لعلمي بأن في مسقط ماء جيد، ان يوصى لي على 40 طناص منه، إذا امكن. لم يكن لدي امل بذلك، بالطبع، ولكن كان من الضروري قبل التعريج على الخليج. فوافق قائد "Infernet"

بكل لطف ووعد بتحضير الماء بواسطة القنصل الفرنسي. واتفقت معه على ان ننطلق من مسقط سوية إلى بوشهر دون التعريج في الطريق على أي ميناء، وذلك بغية التحدث في بوشهر مع ممثلينا الدبلوماسيين، وعلاوة على ذلك كنت ارغب في اعادة قراءة تقرير قائد الطراد "اسكولد" لكي يكون لدى تصور واضح عن آخر الانباء في الخليج العربي، والاهم: لكي استطيع فيما بعد، إذا ما رغب القنصل العام السيد اوفسيينكو، التجول معه في الموانئ واطلب منه مسبقاً الاتفاق مع الممثل الفرنسي للسماح بالجولة المشتركة. لقد فهمت الأمر بالسير سوية مع "Infernet" على انه من الضروري ان نبين في الخليج الاتجاه المنسجم والودي لسياستنا والسياسة الفرنسية خلافاً لذلك الرأي الذي تروج له الحكومة البريطانية وعملاؤها وممثلوها في موانئ الخليج في اوساط المشايخ والقبائل العربية وفي ساحل الخليج، والقائل بأن الخليج بحر مغلق، فوق انه يوجد فقط تحت نفوذ بريطانيا.

قبل مغادرة جيبوتي استلمت في هذا الميناء 238 طناً من الفحم و 165 طناً من الماء، (ص 87 ظهر) أي ملأت كل ما يمكن ملؤه.

في 4 شباط (فبراير)، الساعة الرابعة و 45 دقيقة (...) غادرت جيبوتي باتجاه مسقط.(....). وفي 10 شباط، الساعة الخامسة و10 دقائق، رسوت في مكلأ مسقط بعد ان تمت الرحلة بصورة موفقة تماماً (...). الطقس صادف طوال الوقت؛ الحرارة تصل إلى 27 . 30 درجة تحت الشمس، ولكن الهواء يلطف من حدتها كثيراً. في خليج عمان كان البحر في الليالي بلون

فوسفوري خارق السطوع، وفي النهار كان البحر مغطى بمسحة من اللون الضارب إلى الحمرة.(....).

في 10 شباط، حوالي الساعة الواحدة و33 دقيقة، لاح لنا شاطئ مسقط، فاتجهت مباشرة نحوه واخذت اضيئه بالمصابيح الكاشفة جاهداً بذلك لرؤية مدخل الجون. وفي الساعة الخامسة و 10 دقائق، وإذ دنوت من مكان الرسو دون الدخول إلى عمق الجون لانه ضيق المجال وكان يرسو هناك الطراد "Infernet" وسفينة بريد هندية، القيت المرساة على عمق 14 ساجناً.

عند الصباح جاء إلى الطراد من قبل السلطان شخص في طلب العلم لاجل التحية المدفعيةالجوابية، في الساعة الثامنة اديت تحية من 21 طلقة مع رفع العلم الأحمر المربع الذي هو، في آن واحد، العلم الوطني لزنجبار وعمان: فمنذ زمن غير بعيد البتة كانت هاتان السلطنتان سلطنة واحدة. (ص 79 ظهر) ورداً على التحية تلقيت على الفور تحية جوابية بعدد مماثل من الطلقات من طابية Merani. ثم تبادلت الزيارات مع نائب القنصل الفرنسي السيد "Laronce"، الذي اديت له عند مغادرته الطراد تحية من 9 طلقات كما طلب ذلك مني وكما فعل في السابق قائداً "فارياغ" و"اسكولد". قبل المغادرة سألني القنصل عما إذا كنت سأقوم بزيارة للسلطان، وعرض علي خدماته بصفة مترجم، فوافقت على ذلك لأن سابقى فعلاً ذلك وكانا مرتاحين منه.

طلبت من السيد لارونس ان يخطر السلطان بانني سأسافر في اليوم نفسه، ولذا فلن استطيع قبول زياراته الجوابية، ولكنني آمل، أثناء العودة لدى التعريج على الخليج العربي، بأن يكرمني ويشرفني بزيارة الطراد والاطلاع عليه. لم استطع معرفة أي شيء جديد عن مسقط زيادة على ما ورد في تقرير العقيد البحري بير، باستثناء الإعلان عن ان السلطان يوجد في ظروف مالية حرجة في الوقت الحاضر، وهو لم يدفع الرواتب منذ أربعة اشهر لحرسه الشخصي.

فالمداخيل قليلة جداً بسبب التجارة السيئة، لأن الرسوم المفروضة على الاستيراد هي الدخل الوحيد للسلطان، بالاضافة إلى الربع الذي يتلقاه من الحكومة البريطانية. لدى وصول الطراد احضر الماء على الفور إلى متنه في براميل، إذ اقيم بين الطراد والشاطئ خط اتصال متواصل ونقلت القوارب المحلية، في مهلة قصيرة جداً نسبياً، 41 طناً من الماء. يبدو ان الثروة المنظورة الوحيدة لسكان مسقط هي السلاح.وفي الجون صيد ممتاز لاسماء صغيرة تشبه السردين يستعملونها في الطعام وبسبب زيادة كميتها عن اللزوم يستعملونها للتسميد، وكذلك لتغذية الخراف والثيران التي اعتادت، على ما يبدو، جيلاً بعد جيل على طعام كهذا ولا تستطيع الحصول على طعام آخر لأن الفصفصة والاعشاب تزرع بكمية غير كبيرة نظراً لعدم وجود مكان لذلك، وهي باهظة الثمن. (ص 80) على الصخور، عند جهتها المطلة على الخليج، يوجد عدد كبير جداً

من أسماء السفن التي زارت الميناء؛ ولذلك فقد كتب هنا ايضاً اسم "بويارين". الميناء مريح نسبياً،ولكنه ليس عميقاً، وهو ضيق جداً بحيث يتسع لخمس سفن فقط.

في 11 شباط (فبراير)، وبموجب الاتفاق مع القنصل الفرنسي، توجهت مع ثلاثة ضباط بالبدلة الرسمية والاوسمة والسيف في زيارة إلى السلطان الذي استقبلني والضباط عند البوابة الخارجية للقصر، بينما كان الحرس يقف صفوفاً في الشارع المؤدي إلى القصر. وقدم السلطان لي ولضباطي شقيقه ونجله،الوريث المقبل الذي أصبح يملك ميدالية بريطانية تلقاها أثناء احتفالات التتويج في الهند التي اوفده إليها السلطان ممثلاً عنه. وبالاضافة إلى ذلك قدم لنا الوزير الأول والوحيد،وهو شخص مسن لم يعد يلعب أي دور، كما يقال، نظراً لتقدمه في السن، وقائد القوات. ثم طلب منا السلطان ان نتبعه الى غرفة ضباط حراسة كما يستدل من وفرة اسلحتهم. في غرفة الاستقبال، وبعد الأسئلة العادية عن الصحة والعافية، قلت للسلطان انني تلقيت في طريقي إلى المحيط الهادي امراً بزيارة مسقط وموانئ الخليج لكي اعزز بهذه الزيارة علاقات الاحترام والصداقة القائمة بين الدولة الروسية وجيرانها. ورداً على ذلك طلب مني السلطان ان انقل شكره الجزيل إلى جلالة الامبراطور، وإلى سمو الوريث الامبراطوري، وإلى معاليكم الامبراطوري (ص 80 ظهر) ثم سألني السلطان عن موعد مغادرتي الميناء، فابلغته بانني ساغادر في الساعة الثالثة من اليوم ذاته نظراً لانني اسير بمعية طراد فرنسي، واعتذرت من انني لن استطيع، لهذا السبب، استقبال السلطان على الطراد، ولكن إذا عرجت في طريق العودة فارجو منه تشريفي بزيارة. وتطرق الحديث فيما بعد، بالطبع، إلى زيارة "فارياغ" و"اسكولد" اللذين تركا على ما يبدو، انطباعاً عميقاً واعطيا تصوراً ساطعاً عن قوة روسيا. ومن بين سائر الأسئلة سألني السلطان عبر القنصل الفرنسي وبصورة غير منتظرة عما إذا كانت روسيا تبيع السلاح لايران. ورأيت من واجبي الاجابة على ذلك بانني لا أعتقد، واظن ان روسيا لا تبيعه لها لأنها لا تحتاج للاموال وهي تقيم علاقات سلمية مع الجميع، واضفت ان رغبة امبراطوري تكمن في ان تسود علاقات سلمية بين الجيران ايضاً، ولذا بالطبع لا يرجى بيع سلاح لأي كان. ثم قال السلطان انه وصلته شائعات، أو بالحرف الواحد "يقال في السوق"،ان علاقات روسيا مع القسطنطينية متوترة، فاجبته على ذلك انني لم اسمع شيئاً بهذا الصدد لانني لم استلم منذ زمن بعيد جرائد روسية، ولكن العلاقات كانت منذ شهر مضى جيدة. ثم قدمت لنا القهوة والشراب الحلو، وتبادلنا بعض عبارات المجاملة الشخصية وودعت، وبعد ذلك طلب مني السلطان نقل تحيته واحترامه إلى ممثلنا في الخليج العربي قائلاً انه سيكون مسروراً بمقابلته في مسقط. ورافقنا السلطان بالطريقة ذاتها إلى المخرج وودعنا متمنياً لنا السعادة. وقد أثار في نفوسنا انطباعاً ساراً. وكان الوضع عنده في القصر فقيراً للغاية ولا ينم عن اية علائم للعظمة.

(ص81) عندما كنت في زيارة للسيد لارونس سألته عما إذا كان يمكنني ان آمل بالحصول على 150 إلى 300 طن فحم لدى مغادرة الخليج لأن الاحتياط الموجود لدي لا يمكن ان يكفى بفائض حتى كولومبو التي أنوي التعريج عليها في طريقي إلى الصين، وان في غوا، حسب جميع المعلومات المتوفرة، يمكن الحصول احياناً. في البدء قال لي القنصل ان ذلك ممكن بالطبع. ولكن فيما بعد، عندما فاتحته في الموضوع بشكل جدي أي طلبت تحضير الفحم، قال انه سيرسل برقية بذلك إلى باريس وانه سيكون من الممكن بالطبع الحصول عليه رغم ان الفحم مخصص للسفن الحربية الفرنسية. واعلن السيد Laronce لدى ذلك ان الطراد"اسكولد" ايضاً أراد الحصول على الفحم، الذي قد اعد فعلاً، ولكن البرقية وردت متأخرة وغادر اسكولد" دونما انتظار ذلك. وبما انني لم اكن محاطاً علماً من جانب معالي ضابط السفن المتجهة الى المحيط الهادي بأن الفحم لن احصل عليه في مسقط، ودون ان امانع مباشرة بل بذرائع لائقة إلى حد ما، ابرقت لحالة الضرورة إلى القائم باعمال القنصل العام في بوشهر طالباً منه ان يعد لي إذا امكن 200 طن من الفحم، ولم اعد أصر على إيجاد الفحم في مسقط. وقد تبين فيما بعد من الاحاديث مع قائد "Infernet" ان الفحم في المستودع أصبح على وشك النفاد وانه سلموه غباراً وفحماً سيئ النوعية جداً وجزء منه كان متناثراً أثناء التحميل بين ظهر السفينة والصنادل. واعتقد ان قائد "Infernet" في هذه الحالة كان يؤيد قنصله وكانت لديه تعليمات بهذا الصدد. وعميل الشركة الروسية للملاحة والتجارة GigyterJ الذي زارني في الطراد، كان على علاقة سيئة مع قنصله، الأمر الذي حدثني عنه، بالمناسبة، القنصل نفسه.(ص81 ظهر) واضافة إلى ذلك فإن كل ما حدثني عنه كان يتسم بصبغة غريبة جداً: فقد اخبراني بلهجة قاطعة ان القنصل الفرنسي عين بصورة مقصودة، على حد قوله، من اجل تصفية جميع شؤون فرنسا في وسعه للحفاظ على علاقات جيدة مع القنصلية البريطانية. لقد أثار عميل الشركة الروسية للملاحة والتجارة في نفسي انطباعاً عن شخص مخبول وشاذ بعض الشي، فوق انه ينهج سياسة منفصلة، ولكن كان من الصعب جداً ادراك لصالح من ينهج هذه السياسة. وحتى انه كان أحياناً يشتط زاعماً ان العرب ينتظرون تدخل روسيا، وانهم ينظرون الينا نظرتهم إلى محررين من نفوذ بريطانيا المتعاظم وانه، Goguyer، على استعداد لتقديم خدمة في هذا الاتجاه. وبالمناسبة، توجد صعوبات في امتلاك مستعودع للفحم الروسي مماثل تماماً للمستودع الموجود لدى الانجليز ولدى الفرنسيين،وان الوقت الآن مناسب على العموم لتدبير هذا الأمر لأن السلطان العماني بحاجة ماسة للنقود وانه إذا دفع له ايجاراً غير كبير في مسقط سيكون غير مريح وحتى غير ممكن دائماً، فمن الضروري مع ذلك امتلاك فحم في مسقط لاجل السفن المتجهة إلى الخليج العربي، وذلك لكي يكون بالإمكان تحاشي التحميل في بوشهر والتعريج على كاراتشي. ان ميناء بوشهر غير مريح البتة، والتحميل

في المكلأ صعب للغاية إذا هبت ريح ولو خفيفة جداً، بالاضافة إلى انه من الصعب،كما يخيل لي، تدبير مستودعات الفحم في بوشهر.

(ص 82) في يوم الثلاثاء المصادف 11 شباط (فبراير) 1903 الساعة 3 و10 دقائق بعد الظهر، رفعت المرساة من مكلأ مسقط واتجهت بمعية الطراد الخفيف الفرنسي "Infernet" نحو بوشهر (.......). وبصدد جميع تغيرات السير والسرعات كنت اجرى الاتصالات مع "Infernet" بالاشارات حسب القواعد الدولية الصادرة عام 1897. كان اعطاء الاشارات أثناء النهار لا يشكل أية صعوبة. اما بالنسبة للاشارات الليلية فقد كنا نضطر لأن نضيف إلى كل حرف علامة رقمية. وكنا نستخدم لاجل اعطاء الاشارات مصابيح كهربائية. ان اسلوب اعطاء الاشارات الليلية وضعه ضباط الملاحة لـ "Infernet" و" بويارين" وصودق عليه من جانب قائده ومن جانبي. لم تحدث مصاعب في عملية اعطاء الاشارات. (........).

(ص 83) صباح يوم 15 شباط الساعة 8 و30 دقيقة (.....) رسوت، بمساعدة المرشد البحري (.......)، في مكلأ بوشهر على عمق 29 قدماً. وفي أثري غير الطراد "Infernet" مكانه ووقف على بعد 4 . 5 اطوال كبلية من "بويارين".

وفي صباح اليوم نفسه جاء من لدن عميد القنصلية العامة في بوشهر اومسيينكو شخص يحمل رسالة تطلب ارسال قارب في طلبه ليقوم بزيارة للطراد. ولكن، بما انني قد اتفقت مع قائد "Infernet" على القيام في البدء بزيارة لممثلينا، مقابلة لدى الحاكم العام، في اليوم نفسه إذا امكن، بغية تخفيض مدة المكوث على الشاطئ. وفي الصباح توجهت سوية مع قائد "Infernet" بمساعدة مرشد بحري استأجرته نظراً لعدم دقة الخريطة وغياب أية اشارات كانت يمكن الاسترشاد بها، توجهت مع ضابطين إلى الشاطئ حيث استقبلني عميد القنصلية العامة اوفسيينكو، كما تعرفت على نائب القنصل الفرنسي السيد "R. Chalion" الذي جاء لاستقبال قائد "Infernet". وفي الحال اتفقت مع قائد "Infernet" على ان يقوم كل واحد منا بادئ الأمر بزيارة لقنصله، ومن ثم نقوم بزيارة مشتركة للقنصلين، وبعد ذلك يستقبلنا الحاكم العام جميعاً، القائدين مع الضباط والسيدين القنصلين، وبعد ذلك يستقبلنا الحاكم العام جميعاً، القائدين مع الضباط والسيدين القنصلين على السواء، وهذا ما حدث. فقد وصل عميد القنصلية العامة في طلبي والضباط يرافقه طاقم وحرس من الخيالة. وبعد الزيارات المتبادلة توجهنا إلى عند الحاكم العام الذي يدعى بالفارسية سالار معظم رضا قولي خان. وفي الفناء كانت تصطف ثلة من حرس الشرف. (ص 83 ظهر) استقبلنا سالار معظم بحافوة بالغة، وقدم لنا حسب العادة المتبعة القهوة والشاي والشراب الحلو، وبعد ذلك توجهت مع ضباطي وقائد

"Infernet" مع ضباطه في قارب إلى سفينتينا. ولدى مغادرتنا أديت لنا تحية من 13 طلقة مع رفع علمينا الوطنيين. قبل ذلك اديت تحية للامة الإيرانية من 21 طلقة وتلقيت تحية جوابية بعدد مماثل من الطلقات من سفينة "بيرسيبوليس" مع رفع العلم العسكري الروسي الذي سبق لقائد سفينة "غيلياك" ان اعطاء لـ "بيرسيبوليس" ولا يزال محفوظاً لديها بعناية، وقد ابلغ ذلك لقنصلنا قائد "بيرسيبوليس" القبطان إبراهيم. في اليوم التالي ارسلت قارباً، حسب الاتفاق، في طلب اوفسيينكو وقارباً آخر في طلب الحاكم العام الذي كان موعد زيارته قد عين في الساعة الواحدة بعد الظهر. وفي الساعة 12 كان نائب القنصل الفرنسي عندي في زيارة، بينما قام اوفسيينكو بزيارة لقائد "Infernet"،ولدى مغادرة هذا وذاك اديت تحيتان متعارف عليهما. وفي الساعة الواحدة بعد الظهر وصل الحاكم العام إلى الطراد الموكل إلي: واعراباً عن الاكرام الشديد اصطف أفراد الطاقم لاستقباله، وبصورة استثنائية وكما كان يحصل لي شخصياً دائماً، امرت لدى وصول الحاكم العام بدق الطبول مرتين، بينما رحب به الطاقم كجنرال. وبعد استعراض الصفوف تقدم إلي بصحبة الحاشية المؤلفة من قائد سفينة "بيرسيبوليس" القبطان إبراهيم وجنرال سلاح المدفعية شوجاول مماليك،الذي أوفد سابقاً إلى موسكو لحضور احتفالات تتويج جلالة الامبراطور، وشقيق الحاكم العام. (ص 84) اما نائب الحاكم العام، الذي بقى أثناء الاستقبال على الشاطئ، فهو لا يستطيع السفر في سفينة منها، بالمناسبة، بل تظاهروا بفعل ذلك عندما رفعنا نخباً بصحة جلالة الامبراطور ان نعرض عليه السفينة وتدريباً مدفعياً، ففعلت ذلك، علماً باننا اطلقنا قذيفتين متفجرتين من مدفعين عيار 120 ملم. وابدى جنرال سلاح المدفعية اهتماماً شديداً بمدى حليق القذائف وقوة المدفعية، وبالاجمال طرح اسئلة عديدة في دائرة اختصاصه مما يسمح بالاستنتاج بأنه يفهم أشياء لا بأس بها في هذا المضمار ويهتم بالامر. وفي الساعة الرابعة تم نقل جميع هؤلاء الأشخاص من الطراد إلى "Infernet" بالقارب البخاري، واثناء المغادرة اديت تحية للحاكم العام من 19 طلقة مع رفع العلم الإيراني. أثناء جميع الزيارات كنت اتصرف بالاتفاق مع القائد الفرنسي ومع القنصلين لكي يكون كل شيء منسقاً ما امكن. الفحم الذي كان يوجد على متنها هذه المرة صدفة 380 طناً، أخذ منه جزءاً إلى سفينة "بيرسيبوليس". كانت سفينة "غوليستان" ترفع علم الحجر الصحي، لأنها أتت من كاراتشي. وبما ان موعد خروج الطراد من بوشهر كان يقترب واخذ الطقس يتحسن، فقد ارسلت الميكانيكي مع بضعة أشخاص للاشراف على التحميل في الصنادل، وذلك رغم انه كان ما يزال يترتب على السفينة الوقوف يوماً ونصفاً تحت علم الحجر الصحي. (ص 84 ظهر) وبواسطة القنصل اوفسيينكو اتفقت على ان يجري اسكان الميكانيكي المهندس اورلوف والاشخاص المرسلين للاشراف على تحميل الفحم، في السفينة أثناء الحجر الصحي، وذلك طبقاً لرتبتهم وكانهم، وعلى ان يحصلوا على المواد الغذائية،

وقد وافق القبطان وممثل شركة Malcolm على ذلك بالطبع. وبالاضافة إلى ذلك فقد زود الطراد هؤلاء الأشخاص بمياه الشرب والشاي، وكان باستطاعتهم عدم استعمال ماء السفينة. ومن ثم شرعنا باستقبال الفحم الذي كان سعره مرتفعاً نسبياً: 25 شلناً وبنسان للطن الواحد، وهو جيد النوعية. ونظراً لكون الاحتياطي الموجود لدي لم يكن يتيح لي الطواف بالموانئ بل وحتى الوصول إلى كاراتشي، فقد اشتريت 200 طن يمكنني بواسطتها الطواف بموانئ الخليج والوصول حتى كاراتشي حيث سيكون من الضروري شراء الفحم من جديد لأن الفحم الباقي لدي لا يكفي للوصول إلى كولومبو. فإذا كنا ننوي على العموم ارسال سفننا إلى موانئ الخليج فانه لمن الضروري، بواسطة قنصلنا في بوشهر، تدبير مستودع أو عقد اتفاقية مع شركة Malcolm الآنفة الذكر التي حصلت منها الآن على الفحم، والتي أخذ منها الفحم قائد "اسكولد". ان هذا لا يشكل أية صعوبات تذكر إذا ما جرى، قبل شهرين من وصول السفينة المعينة، ارسال برقية الى بوشهر باسم القنصل، وبالمناسبة أقول ان سعر الفحم الآن مرتفع جداً لانه موجود بمحض الصدفة. ويخيل لي انه يكون من الضروري ايلاء الاهتمام لمسألة امتلاك مستودعا فحم خاصة بنا في مسقط وبوشهر لأن هذين الميناءين كليهما هما مع ذلك أفضل من ميناء بندر عباس. وعلاوة على ذلك، يبدو لي انه، نظراً للتعريج على موانئ الخليج، يكون من الضروري تسليف السفن في بوشهر حيث يوجد قنصل روسي وبنك انجلوايراني سيوجد بنك تجاري روسي. ونظراً لعدم وجود مبالغ كافية لدي ولا يحق لي ان اسحب مبلغاً كبيراً من السلفة، فقد اضطررت للانفاق، وفعلت ذلك بفضل المساعدة التي قدمها لي القنصل اوفسيينكو. (ص 85) اما في القنصلية فلا توجد المبالغ الكبيرة التي يمكن ان تحتاج إليها السفينة. ان أفضل حل لمسألة ملاحة سفننا في الخليج العربي ولعرض العلم الروسي يكون، كما يبدو لي، ارسال سفينة تواجد دائم خاصة في الخليج توضع تحت تصرف القنصلية اما في بوشهر واما في البصرة، تبعاً لاقدمية هاتين القنصليتين، وتقوم بالتطواف في الموانئ في مهل معينة حسب الحاجة.

في 16 شباط دعيت مع الضباط وقائد "Infernet" إلى مأدبة فطور مع سالار معظم عند عميد القنصلية العامة الروسية، وفي 17 شباط دعانا سالار معظم جميعاً إلى داره لتناول طعام الفطور الذي جرى في جو مريح للغاية. كانت ادوات المائدة جديدة جلبها إلى الحاكم العام لتوه من فرنسا المدعو Malcolm، وهو ممثل الشركات التجارية الفرنسية، وبالمناسبة فهو على الارجح عميل لجمع مختلف المعلومات السياسية.

مساء 19 شباط وصل إلى الطراد عميد القنصلية الروسية العامة في بوشهر السيد اوفسيينكو للقيام بجولة على متن الطراد في موانئ الخليج. وفي الساعة 8 و 20 دقيقة رفع الطراد المرساة، في اعقاب الطراد "Infernet"، وسار خلفه باتجاه الكويت.

(ص 85 ظهر) (.....) في 20 شباط، الساعة 11 و55 دقيقة صباحاً، رسوت في مكلأ الكويت، بعد "Infernet"، على عمق 6 ساجنات (...) وفي الساعة الواحدة بعد الظهر وصل من الشاطئ قارب من لدن الشيخ مبارك للتهنئة بالوصول؛ ولدى عودته إلى الشاطئ، وبناء على نصيحة القنصل الثاني للشيخ مبارك، بصحبة حفيد الشيخ، ابن مدله الأكبر الشيخ جابر بن مبارك، أحمد بن جابر، لاجل تهنئتنا بالوصول باسم مبارك، والاتفاق على موعد زيارتي للشيخ مع القنصل والضباط. ولدى مغادرته اديت له تحية متفق عليها من 5 طلقات، وبعد ذلك قام هؤلاء الأشخاص بزيارة "Infernet".

اتفقت مع قائد "Infernet"، على ان نقوم في 21 شباط صباحاً عند الساعة التاسعة، بزيارة جوابية، واتجهنا إلى الشاطئ في الموعد المقرر. كانت المياه ضحلة، فارسلوا لملاقاة القاربين جياداً اوصلتنا إلى الشاطئ. أستقبلنا الشيخ مرتدياً اغنى الالبسة تكريما لنا، عند مكان الانزال تقريباً ورحب بنا اجمل الترحيب واعلن حسب العادة العربية ان داره دارنا. لقد استقبلنا هذه المرة في دار اخرى، وليس في تلك التي استقبلني فيها أثناء مجيء السفينة "غيلياك". فغرفة الاستقبال مؤثثة بشيء من الترف؛ والجدران مزينة بزخارف من الرسم الهندي، وربما المحلي ايضاً. وفي هذه الغرفة سجادة اشتراها بنفسه، واثاث اهداه اياه الانجليز، وعلى الجدران علقت صور كبيرة زيتية للملكة فيكتوريا والملك ادوارد والملكة الكسندرا. وقدمت لنا حسب العادة القهوة ومن ثم الشاي. طقم الشاي من الفضة الجديدة . من صنع وارسو، وقد علمنا فيما بعد انه هدية من تاجرين روسيين بفراء الحملان يتمتعان منذ بضع سنوات بحظوة لدى الشيخ، أي بالحق في تصدير الفراء بدون رسوم، وبالحماية. أثناء مجيء "غيلياك" كان شخص ارمني روسي التبعية يتعاطى هذا العمل المربح جداً لأن ثمن الجلد غير المسلوخ روبلان و50 كوبكا في الكويت، وهذا ثمن جيد، ولكن الجلد يباع في روسيا باغلى من ذلك بكثير. ولكن لم تكن لدى هذا الشخص المبالغ الكافية للصمود بوجه منافسة هذين التاجرين، واصبحا الآن يحتكران هذه التجارة. (ص 86 ظهر) ومعطف الفرو، الذي ارتداه الشيخ، كان ايضاً هدية من التاجرين المذكورين. تطرق الحديثين طبعاً، بصورة عفوية إلى مسألة خط سكة حديد بغداد. ان الشيخ يعارض، بلا شك، السماح بوصول الخط إلى الكويت، ويدرك ان ذلك يشكل نهاية لقوته وسلطته. ولكن عندما طرح عليه سؤال عما سيكون موقفه إذا تم تنفيذ الخطة البريطانية التي ترتأي شق طريق بورسعيد إلى إلكويت، اجاب بطريقة دبلوماسية انه لو جرى بناء هذا الطريق من جانب بريطانيا وروسيا وفرنسا لما كان، على الارجح، عارض ذلك. لم يتغير الشيخ كثيراً خلال السنوات الثلاث المنقضية. فهو يثير في النفوس الانطباع عن شخص يعرف قيمة نفسه ومكانته معرفة جيدة. واعربت له عن رغبتي في مشاهدة السوق والمدينة بمساعدة السيد

اوفسيينكو، ورداً على ذلك كرر ان كل ما يملكه موضوع تحت تصرفنا، ثم طلب منا ان نشرفه بتناول طعام الفطور عنده بعد مشاهدة السوق والمدينة. هذه المشاهدة لم تعطنا شيئاً جديداً. وسبق للجميع ان وصفوا السوق والمدينة في التقارير السابقة. في السوق يوجد الكثير من الزجاج النمساوي المنشأ، ولم اشاهد بضائع روسية. وتصدير فراء الحملان يجري بكميات كبيرة، واعلن التاجران بكل صراحة ان ذلك أمر مربح جداً لهما. أثناء التنزه ذهبنا جميعاً، أي قائد "Infernet" مع ضباطه وانا مع ضباطي والقنصل، للقيام بزيارة لعبد العزيز بن سعود نجل المنتصر على ابن الرشيد، والذي عاد مؤخراً من الرياض. وقصه ذلك ان أمير نجد عبد الرحمن بن سعود، بعد احتلاله الرياض عاصمة نجد، حوصر هناك مع ابنائه وقواته من جانب ابن الرشيد، غير ان ابنه الأكبر عبد العزيز بن سعود، الذي ارسله للقيام بعملية اختراق، استطاع دحر ابن الرشيد الذي فر إلى جبل شمر في الشمال حيث كانت لا تزال لديه قبائل موالية له، اما جميع القبائل الأخرى تقريباً فقد كانت حتى ذلكالزمن قد اعلنت الطاعة لشيخها الشرعي ابن سعود. (ص 87) وقبل وصولنا بوقت قليل جرت في الكويت احتفالات بهيجة وصاخبة بانتصار عبد العزيز على ابن الريد، ويقال ان مبارك، عندما قدموا له الشارة المنزوعة من ابن الرشيد، رمى عن رأسه الكوفية والعقال وقال انه يود ان يكون خادماً لعبد العزيز .وعلى الرغم من انه لم تكن لدى مبارك مصلحة مباشرة في كل هذا النزاع بين ابن الرشيد وابن سعود، وبما ان ابن سعود ضيفه وطلب منه الحماية والمساعدة ضد المسيء ابن الرشيد، فقد تعهد، بموجب حق الضيافة المتبع، لا بحماية ابن سعود وحسب بل وبمساعدته بجميع الوسائل في استعادة حقه المفقود. ولهذا السبب بالذات يشارك مبارك مشاركة نشيطة في كل هذه القضية إذ يزود السعوديين بالاموال والاشخاص والسلاح والمؤونة. وعلى على ذلك فإن مبارك يدرك جيداً ان الاتراك، بعد ان يقضوا على السعوديين بمساعدة ابن الرشيد، سوف يصلون إليه ايضاً، وعند ذلك تصبح مسألة الخط من بغداد إلى الكويت مسألة مبتوتاً فيها، وبالتالي تحل نهاية سلطة آل سعود وآل صباح، على السواء، وتنتقل الكويت، بطبيعة الحال، إلى ايدي من يستولي عليها في الوقت المناسب. اما الآن فقد اخذت نجد تنتقل إلى السعوديين. وفي يوم مغادرة الطراد كان ينبغي لعبد العزيز القيام بحملة بعد ان تلقى تعزيزاً كبيراً من 1400 محارب ومؤونة من مبارك. استقبلنا عبد العزيز جميعاً بحفاوة بالغة، علماً بأنه قام بذلك في فناء داره الذي تطل عليه غرفة الاستقبال وحيث اصطف كل ملاكه، أي قادة المحاربين وشقيقاه محمد بن سعود وسعد بن سعود.(ص87 ظهر) تكلمنا في الحديث، بالطبع، عن الانتصار الاخير، وقال عبد العزيز بهذا الصدد لولا المساعدة السرية الدائمة من جانب تركيا، التي زودت ابن الرشيد حتى بمدفعين ميدانيين، لكانت القضية انتهت منذ زمن بعيد،وان تركيا، رغم الشرط الأخير الذي قطعته على

نفسها بعدم المشاركة في هذه القضية، تساعد ابن الرشيد على الدوام وتساند النزاع مخافة ان تعزز من جديد قوة نجد بوصفها مركزاً للوهابيين، ومن الجزيرة كلياً من تركيا. فما دامت الجزيرة العربية تتخذ موقفاً مستقلاً تماماً عن تركيا وما دام وضع الأمور هذا قائماً على هذا الساحل من الخليج العربي فلن يجري مد أي خط حديدي إلى الكويت، ولا إلى المرفأ الشمالي للخليج الكويتي، الجهرة، التي من المحتمل تماماً ان يدنو منه لمسافة ميلين، أي تقريباً للمسافة نفسها من الكويت.

بعد قيامنا بهذه الزيارة ومشاهدتنا المدينة والسوق التي تمثل لوحة جميلة جداً ولا سيما الساحة التي تؤمها القوافل القادمة من الصحراء وتنطلق منها القوافل عائدة، ورجعنا إلى عند مبارك، وبعد احتساء الشاي والقهوة مرة اخرى، دعينا إلى تناول الفطور. لم يجلس مبارك احد معنا من المقربين اليه، وجلس هو وحيداً. ان العادة، التي عاينتها أثناء مجيء "غيلياك"، قدتغيرت؛ آنذاك كان صاحب الدار يختار بيده أفضل قطعة من الكبش المشوي ويغمسه في صلصة الكاري، وبعد ان يمرغها في الرز يضعها بيديه في فم ضيف الشرف. اما الآن فلم يعد ذلك متبعاً، فإن الشيخ يكتفي باقتطاع قطعة من الكبش ويضعها على صحن الرز لمن يشاء. فقدموا لنا الملاعق والشوكات، اما الشيخ فكان، كعادته، يأكل بيديه، وكان يفعل ذلك بلياقة فائقة، والحق يقال، وحتى ببعض العظمة التقليدية القديمة. فالعرب، بالاجمال، يأكلون قليلا، ولكن إذا انوجدوا في عيد فهم لا يمانعون في ان يأكلوا جيداً ولكن بدون شراهة وبدون مبالغة، فهكذا على أقل تقدير يأكل الشيخ مبارك. (ص 29)[4] والشيء الجديد كان تقديم ماء الشرب، ماء مطري بالطبع، أثناء المأدبة، ففي الاونة الأخيرة هطلت امطار غزيرة في الكويت وامتلأت الآبار. بعد المأدبة ودع القنصل وانا مع ضباطي الشيخ، وكذلك فعل قائد "Infernet" مع ضباطه. ورافقنا حتى عتبة غرفة استقباله، وعدنا كلنا إلى السفينة. باعتباره أعلى رتبة، وانه يطلب مني المجيء غداً لتناول طعام الفطور عنده باعتباري صديقاً قديماً فاضطررت للاعتذار لانني كنت ازمع ارسال معاوني لالتقاط صور فوتوغرافية، واتاحة الفرصة لسائر الضباط ايضاً لمشاهدة الكويت، لذلك طلبت من الشيخ ان يستقبل معاوني بالنيابة عني لكي يتمكن هو الآخر من التعرف عليه، وإذا ما قدر له واصبح قبطاناً فسوف يكون معروفاً لدى الشيخ شخصياً لدى مجيئه إلى الخليج مرة أخرى. فوافق الشيخ بطبيعة الحال، واقترح الشيء نفسه على القائد الفرنسي، كما اقترح على الضباط ان يسافروا قبل مأدبة الفطور إلى الصحراء على ظهور الخيل أو الجمال، ومن ثم يتناولون طعام الفطور عنده. اثناء العودة هب نسيم قوي بعض الشيء ولكن من الشاطئ، من المدينة، ولذا

[4] خطأ في تتابع الصفحات في النسخة الاصلية.

فهو لم يحدث امواجاً كبيرة، وعند المساء هبت ريح من عمق الخليج، وفي الحال ارتفعت موجة عالية جداً. ان المكلأ غير هادئ البتة، رغم ان ارضيته صلبة وتتشبث جيداً بالمرساة؛ ولكن يستحيل الرسو إلى الشاطئ، أثناء ارتفاع الموج وضحالة المياه، بدون ان يتحطم القارب. اما إذا كانت المياه ضافية فيمكن الدخول، بكل حذر بالطبع، إلى الميناء المبنى خصيصاً للجوء السفن الشراعية المحلية في الطقس الردئ، وهي تجف هناك عادة أثناء الجزر. وتنبغي الاشارة إلى الشيء الجديد الذي حدث ابان الزمن الذي مر على مجيء السفينة الحربية الروسية، اعني "غيلياك"، إلى هنا وهو الخندق غير العميق، الشبيه بمربض رماية، حول المدينة. وقد حفر هذا الخندق لحماية المدينة من ابن الرشيد والاتراك. فقد وصل ابن الرشيد إلى الجهرة ونهب دار مبارك وسبى زوجته، واقام خيمة في فناء داره وشرب فيها القهوة امعاناً في الاهانة. لقد حدث ذلك مباشرة بعد الهزيمة التي مني بها مبارك؛ وقد اصيب الشيخ نفسه بجراح وفر متخفياً في ثياب متسول، وإذ بلغ الكويت حبس نفسه في داره ولم يشأ الخروج منها لشعوره بالخزي لانه كان يعتقد ان ابتاعه تخلوا عنه، ولكن تبين انه لا يزال يتمتع بنفوذ شديد وهذا ما عزز سلطاته لأن الوفد الذي أرسل إليه من لدن وجهاء واغنياء المدينة أعلن له بكل صراحة انه يضحي الغالي والرخيص لكي يبقى هو حاكماً عليهم ويواصل الحرب. ويمتد هذا الخندق من إحدى ضفتي الخليج حول المدينة إلى الضفة الأخرى. وفي بعض اماكنه يمكن للمرء اطلاق النار وهو جاث على ركبتيه، وفي أماكن أخرى وهو واقف على رجليه. لقد جرى فعل ذلك بناء على نصيحة وتعليمات ضباط بريطانيين.

في صباح اليوم التالي، عند حوالي الساعة التاسعة، نزلت الشاطئ. وسافر معاوني مع آلة تصوير ومع السادة الضباط، وكذلك مع ضباط من "Infernet"، على ظهور الجياد إلى الصحراء وتناولوا طعام الفطور عند الشيخ، وبعد ذلك التقطوا صوراً فوتوغرافية. كما قاموا بزيارة للشيخ عبد العزيز بن سعود. وفي الساعة الثانية وصلت إلى المكلأ أول سفينة حربية بريطانية صادفتها طوال هذا الوقت هي السفينة "Sphinx"، التي ارسلت إليها ضابطاً لتقديم التهنئة بالوصول، وفعل الشيء نفسه الطراد "infernet". وعلى العموم، فطوال ملاحتنا المشتركة لم يحدث أي اختلاف في تصرفاتنا لاننا كنا نتفق مسبقاً على كل شيء، وفي حالة الضرورة كنا نتحادث ليلاً ونهاراًً بالاشارات الدولية المتبعة. (ص 30) وبما ان 'Sphinx"، اوصلت بعدنا، وبالاضافة إلى ان قائدها، كما كنت اعلم، أدنى رتبة مني، لذلك فقد كنت اتوقع زياراته لي.

واستفسر الضابط الذي جاء من لدنه، وهو يود ان يعرف على الارجح من هو أعلى رتبة انا أم قائد "infernet"، عن الاقدمية في الرتبة، وفي اليوم التالي صباحاً قام القبطان البريطاني بزيارة للطراد الفرنسي بادئ الامر، ومن ثم لي ايضاً. يقود

Lieutenant Commander Camp. 'Sphinx' وهو يتكلم الروسية بصورة لا بأس بها، وشارك في فصيلة القبطان Belly لدى الاستيلاء على تاكا وتيانزين. لدى قيامي مع القنصل بزيارة "Sphinx"، التي حصلت في العام الماضي على مراجل جديدة والتي ركبت على حواملها القديمة مدافع سريعة الطلقات بعيار 4 اقدام، اعتبر قائدها من الضروري ان يطلعني والقنصل، وقائد "infernet" كما تبين فيما بعد، على مدافعه الجديدة. لقد كان ذلك أول شيء رأى من الضروري القيام به رغم اننا لم نطلب ذلك ولم نبد أي اهتمام على الاطلاق بمدفعيته. ان هذه المزية والواقع اللاحق مع الطراد "Perseur" في مسقط يبينان بجلاء ان ارسال السفينتين الحربيتين لأُمتين صديقتين أثار لدى الانجليز حالة من التوتر العصبي والقلق والارتياب. ولم يكن في وسعهم الاعراب عن استيائهم سوى في سلوك استعراضي بعض الشيء لأن كل اسطولهم كان في هذا الوقت مشغولاً بنقل وانزال القوات والعتاد الحربي في بربرة، ومن هنا تنطلق في حملة على الملا المتمرد الذي يثير الاضطراب مجدداً، على ما يبدو، في الساحل الصومالي والاماكن الداخلية المحاذية له. وبصدد ان الاسطول يقوم بعمليات قرب بربرة فقد انبأنا بذلك قائد "Perseur" في مسقط وهو يشكو من صعوبة الانزال عند تلك السواحل، (ص 31) واما انه قد اضطر للمشاركة في ذلك فقد لاحظته من ان قاربه البخاري ولنشه والزوارق الكبيرة كانت في حالة يرثى لها. في اليوم نفسه جاء إلى الطراد مع الحاشية بادئ الأمر حفيد مبارك، ابن وريثه وقائد جيشه الشيخ جابر بن مبارك، أحمد بن جابر، ومن ثم جاء في زيارة جوابية وللتوديع قبل القيام بحملة، وبتكليف من شقيقه الأكبر عبد العزيز بن سعود، محمد بن سعود مع شقيقه سعد بن سعود مع حاشية مسلحة تسليحاً غنياً وجيداً؛ وشاهد الجميع السفينة باهتمام شديد وكانوا مسرورين جداً بالاستقبال؛ لدى مغادرتهم؛ ورغم ان العلم كان منزلاً، اديت لهم تحية من خمس طلقات واضاءت لهم الطريق بالمصابيح الكاشفة فاثار ذلك في نفوسهم ارتياحاً عظيماً.

في 23 شباط من العام الجاري، الساعة الواحدة بعد الظهر، رفعت المرساة في اعقاب "infernet"، وواكبتها لمواصلة الابحار نحو لنغة.

(ص 88 ظهر) لدى وصولنا لنغة أرسل عميد القنصلية في بوشهر إلى الشاطئ خدمة، ما يسمى القواسة، ليبلغوا المحافظ بوصول سفينتين روسية وفرنسية، وهما تريدان معرفة متى يستطيع المحافظ القيام بزيارة لهما، وليأخذوا علمنا لاجل التحية المدفعية الجوابية. فأعلن المحافظ انه سياتي في الساعة الواحدة بعد الظهر. في الشاطئ يرى بصورة واضحة جداً العلم المرفوع على دار المحافظ، والعلم البريطاني داخل المدينة، وعلى الشاطئ قرب مركز الجمرك، العلم الفرنسي لعميل القنصلية الفرنسية وعميل الشركة الروسية للملاحة والتجارة عبد الرحمن بن كاظم. وحال رسو الطراد توجه عميل القنصلية الفرنسية إلى "infernet" في زيارته، وبعدها

جاء إلى عندي حيث كان مسروراً جداً، على ما يبدو، من لقاء القنصل اوفسيينكو الذي يعرفه من قبل. يمكن وصف عبد الرحمن بن كاظم هذا بكلماته هو نفسه التي قالها للقنصل في حضوري عندما هنأه بوسام نيشان الافتخار الذي منحته اياه الحكومة الفرنسية على رحلة الطراد في العام الماضي. فقد قال انه مستعد لبذل كل شيء لاجل الروس وانه لا يهتم اطلاقاً بالنقود لانه غني وسعيد ولم يبق امامه الآن سوى الاهتمام بالعزة والمجد. لقد بذل الجهود فعلاً لكي يساعد السفينة بشتى الوسائل، وسوف اسمح لنفسي في تقرير منفصل بالطلب من معاليكم الامبراطور منحه ميدالية لقاء غيرته وحميته، لانه يمكن ان يكون،حسب تقريظ اوفسيينكو له، شخصاً مفيداً جداً بالنسبة لمصالحنا في الخليج في المستقبل وفي الوقت الحاضر. أرى من التقرير السابق لقائد "اسكولد" ان القنصل العام السيد اداموف كان أول من قام بزيارة، ولو انني كنت بدون القائم باعمال القنصل العام لكنت، على الارجح، فعلت الشيء نفسه، (ص 91) ولكن بما ان السيد اوفسيينكو يعتبر انه ينبغي على المحافظين اولاً ان يقوموا بزيارة وبما ان هذه الموانئ توجد في دائرة اختصاصه من الناحية الدبلوماسية، فقد وافقت على قوله، وفي لنغه وفي بندر عباس انتظرت زيارة المحافظ، وبعد ذلك فقط كنت اتفق معه على موعد زيارتي له. وقد حدث الشيء نفسه، بالمناسبة، أثناء طواف سفينة "غيلياك" بموانئ الخليج، مع فارق وحيد وهو انني كنت اضطر للبحث في الشاطئ عن شخص يستطيع التكلم ولو بأية لغة اوروبية واحدة، وبعد ذلك للبحث عن أي مسؤول محلي يذهب في أثر ذلك الشخص إلى السفينة، ومن باب الانصاف أقول ان الاسلوب، الذي اقترحه القنصل اوفسيينكو، هو بلا شك في هذه البلدان مناسب جداً بل وحتى ضروري لانه يرفع في الحال مكانة القائد في اعين السكان لأن المحافظ قادر دائماً على استقبال الضيوف بصورة احتفالية. اما بالنسبة لاوفسيينكو، الذي قام بزيارات بصحبة القائدين كليهما، فقد كان من الضروري له ان تترك زيارة الموانئ أكبر انطباع ممكن في نفوس السكان، الأمر الذي تحقق بلوغه تماماً.. الزيارة الجوابية قررنا، أي قائد "infernet" وانا، القيام بها في الساعة التاسعة من صباح اليوم التالي. وعند حوالي الساعة الواحدة و45 دقيقة وصل إلى الطراد محافظ لنغه حاجي طالب خان وبصحبته عقيد سلاح المدفعية سرحان حيدر خان، وميرزا سكرتيره. محافظ لنغه بدون رتبة عسكرية، بل يشغل منصباً فقط. وهذا سبب آخر كان ينبغي عليه بموجبه القيام بالزيارة أولاً. أثناء الزيارة اطلعته على الطراد، وفيما بعد تناول طعام الضيافة في مقصورتي؛ ولدى مغادرة الطراد اديت تحية من سبع طلقات. وعندما كان المحافظ في زيارتي وصل من الشاطئ ممثلو الجمرك البلجيكي: المفتش السيد Moltor بصحبة مدير الجمرك في لنغه ومعاونه. وبالاضافة إلى الجمرك كان السيد Moltor مكلفاً بتنظيم مركز البريد. (ص 91 ظهر) ومن الطراد توجه المحافظ إلى "infernet" حيث ادوا له

تحية مدفعية لدى مغادرته. عند المساء هبت رياح معتدلة، وفي الليل غيرت اتجاهها إلى جنوبية غربية وراحت تدوي بقوة 4 عقد. وفي الساعة التاسعة صباحاً، وحسبما اتفقنا البارحة، توجهت مع القنصل وضابطين في زيارة إلى المحافظ. وفي الوقت نفسه انطلق من "infernet" قارب يقل القائد وضباطاً. كانت قوة التيار كبيرة بعض الشيء في اتجاه الشاطئ بسبب المد بقوة عقدتين. ونظراً للمياه المستفيضة فقد كان بالإمكان دخول مرفأ غير كبير قبالة السوق وابقاء القارب هناك دونما قلق عليه حتى عودتي إلى الطراد، أي طوال مدة استفاضة المياه. وفي لنغه ايضاً أثناء الجزر ليس من السهل الرسو، وهكذا الحال في جميع موانى الخليج العربي، لأن المدن بجزئها الأكبر تقع على شواطئ رملية ضحلة المياه. غير ان النزول إلى اليابسة أمر ممكن دائماً إذا كان الطقس جيداً، ولكنه أمر صعب للغاية في الطقس العاصف. استقبلنا المحافظ في غرفة التشريفات. وعرضت علينا، القهوة والشراب الحلو. ثم توجهنا جميعاً لمشاهدة السوق وبعض احياء المدينة. من البحر تحدث لنغه انطباعاً مرضياً للغاية. خضرة كثيرة لا من اشجار النخيل وحسب بل ايضاً من بعض النباتات الكثيرة الأوراق. وفي الجزء الغربي من المدينة منارة عالية جداً مغطاة بترابيع زرقاء لم ار مثيلا لها حتى الآن في موانئ الخليج.

وعلى سطوح البيوت ابراج للتهوية، والبيوت مبنية ببعض التأنق والزينة؛ ولكن المدينة تفقد الكثير من رونقها عندما تراها عن كثب،الا انه من الانصاف القول ان لنغه هي انظف مدينة بين جميع المدن التي شاهدتها في الخليج العربي، بما في ذلك مسقط ايضاً. (ص 92) فالسوق، مثلاً، نظيفة جداً، وسكان المدينة حسنو الهندام. وبالمناسبة، لم الاحظ وجود بضائع روسية في السوق. بعد زيارتنا للمحافظ قمنا بزيارة لعميل القنصلية الفرنسية السيد عبد الرحمن كاظم خان الذي ارانا صورة فوتوغرافية لحادث حصل منذ زمن غير بعيد البتة في لنغة. فعندما كان عبد الرحمان خان، عميل القنصلية الفرنسية، في كلكوتا كان يحكم في لنغه داريا بك، أي "ملك البحر"، الحاكم العام لكل الخط الساحلي للخليج العربي، الذي أمر بانزال العلم بصورة احتفالية، واخذت صورة فوتوغرافية للحظة قيام داريا بك برفع العلم بحضور ممثلين عن المدينة. انني أعرف داريا بك هذا منذ زمن مجيء السفينة "غيلياك" إلى الخليج. وهو في الوقت الحاضر موجود في طهران، وقد فقد مكانته وحظوته بسبب ابدائه مقاومة بوجه اجراء إدارة الجمارك عبر البلجيكيين، بل ويقال ايضاً انه أرسل إليهم مجرمين للفتك بهم ولكن ذلك لم يحصل، فاستدعى من منصبه لمحاكمته ومعاقبته. بعد زيارتي لعميل القنصلية الفرنسية عرجت على البلجيكيين في الجمرك حيث استقبلنا السيد Molitor بحفاوة بالغة. ان شؤون الجمارك تسير بصورة حسنة جداً، رغم انه لا تزال توجد مقاومة، ولكنها ضعيفة جداً؛ والتعرفة الجديدة، التي فرضت قبل وصولنا الخليج بوقت قليل، تلاقي ايضاً مقاومة تساندها بريطانيا بشتى الوسائل، وجواباً على طلب التجار

المرسل إلى الشاه في طهران بتأجيل تطبيق التعرفة بعض الوقت ورد أمر يؤكد على ان التعرفة لا تقبل التأجيل، ويبدو ان الأمور ستسير على ما يرام، لأن العديد من التجار يسحبون بضائعهم من الجمرك على مضض منهم. (ص 92 ظهر) وبما انه لم يبق لدى ما افعله في الشاطئ فقد توجهت إلى الطراد. لدى مغادرتنا دار المحافظ اديت لنا تحية من سبع طلقات من مدفعين نحاسيين ميدانيين موضوعيين امام الدار عند صارية العلم.

في 26 شباط (فبراير) 1903، الساعة الثامنة مساء، رفعت المرساة للتوجه نحو بندر عباس في اعقاب "infernet"، وكان خط سيرنا يتجه مباشرة نحو وسط جزيرة Jeberat Jaub (....). وفي الساعة 8 و40 دقيقة من اليوم التالي (.......) انزلنا المرساة اليمني قبالة بندر عباس. (.......). (ص 93) ومن جديد، كما في الموانئ السابقة، أرسل القنصل اوفسيينكو قواسة لابلاغ محافظ بندر عباس انه وصلت سفينتان روسية وفرنسية ولنقل العلم لاجل التحية المدفعية الجوابية، وكذلك للاستفسار عن موعد الزيارة. بعد ذلك اديت التحية مع رفع العلم الايراني، وسرعان ما تلقينا جواباً عليها من الشاطئ. وقت وصول الطراد "فارياغ" كانت المدافع ما تزال تجثو مباشرة على قواعد عند الرصيف. واعتقد انه قد اتخذت الآن اجراءات بحيث يمكن اداء التحيات الجوابية باسرع ما يمكن. وقد وضعت المدافع، كما تأكدت من ذلك فيما بعد، على ما يدفع، رغم ان التحية استمرت وقتاً طويلاً مع تقطعات. وفي الساعة 3 و40 دقيقة وبعد زيارة "infernet" جاء المحافظ ميرزا نصر الله خان إلى الطراد، وقد تبين فيما بعد انه عين بصورة مؤقتة في هذا المنصب وجاء بصحبته رئيس الجمارك مدحت الله وزاري. ان منصب رئيس الجمارك يوجد في تلك المدن التي يوجد فيها ممثلون أجانب. ومن خلاله تجري جميع العلاقات الرسمية بين الأجانب والمحافظ. (ص 93 ظهر) يدير هذا المستشار شؤون لنغه وبندر عباس، ومعروف بصداقته للروس. اضافة إلى ذلك كان يمثل الناحية العسكرية العقيد في سلاح المدفعية، أو السرهنك بالايرانية، حسين خان. كان المحافظ، رغم كل التوقعات، شخصاً في مقتبل العمر وذا تحصيل اوروبي. وقبل ذلك خدم في القسطنطينية وطهران، وهو يتكلم بالفرنسية بكل طلاقة، ويرتدى على الطريقة الأوروبية، ولباسه لا يضايقه، على ما يبدو. لدى مغادرتهما اديت تحية من 7 طلقات.

بغية تقليص مدة التوقف، وبعد الاتفاق مسبقاً مع القنصل وقائد "infernet"، قررت في الحال السفر إلى عند المحافظ في زيارة، ونظراً لذلك اقترحت على المحافظ العودة إلى الشاطئ معي على القارب البخاري، كان الموقف بعيداً نسبياً، حوالي 4 أميال. وبالطبع وافق المحافظ وتوجهنا معاً: وفي الوقت نفسه انطلق نحو الشاطئ قائد "infernet" ايضاً. بما ان الشاطئ ضحل المياه للغاية فقد اضررنا للانتقال على اكتاف اشخاص، بينما تركنا القوارب مربوطة بمرساة.

أعتقد ان ميزة الشاطئ هذه في بندر عباس سوف تكون عقبة في وجه تحويله إلى ميناء بحري جيد، وذلك على الرغم من ان موقع بندر عباس هو، على كل حال، أكثر ملاءمة بالقياس إلى الموانئ الأخرى لانه تأتي إلى بندر عباس بضائع من ايران، ومن اغنى محافظاتها الشمالية، وكذلك من فارستان ومقران واحياناً من لارستان. (ص 94) وعلى العموم يمكن القول ان بندر عباس بوابة إلى المحيط وانها تشكل بالطبع، مع جزر هرمز وقشم ولارك وغيرها، بوابة والقهوة والشراب الحلو، ثم طلبنا اذناً بمشاهدة المدينة، أي من جديد السوق وخزانات مياه الامطار خارج المدينة. ليس لدى بندر عباس مياه أخرى السوق تعج بالنشاط، وتوجد فيها بضائع روسية من الاواني وغيرها، ولكن ليس عددها بالكبير. وبالمناسبة، فإن شمال إيران حتى شيراز، بالدرجة الرئيسية، وسط إيران يتزودان بمنتجاتنا، وحسبما يقول السيد اوفسيينكو، ولكن ثمة مسوغات للافتراض بأنه إذا قامت سفن الشركة الروسية للملاحة والتجارة برحلات أكثر تكراراً إلى الخليج وجلبت بضائع فإن من شأن هذه البضائع ان تسوق بصورة ممتازة في الموانئ ايضاً. يبنى خزانات المياه عادة أشخاص غير رسميين بهدف البر والاحسان لاجل الاستعمال العام غير المراقب. وهي عبارة عن آبار عميقة يبلغ قطرها حوالي 15 . 20 ساجناً وعمقها أكثر من 20 ساجناً، مرصوفة بالحجارة من الداخل بصورة متقنة جداً ومطلية بنوع من الاسمنت السيئ النوعية بحيث انها تتداعى في بعض الاماكن. وفوق البئر ترتفع قبة حجرية، ومن الجوانب أربعة مداخل إلى البئر بمنحدرات وقنوات لاجل تدفق مياه الامطار مباشرة من سطح الأرض المحيطة بالبئر، كما توجد أربع رافعات لاجل اغتراف المياه. كانت توجد كمية من الماء لا بأس بها، ولكن لونه اخضر من فوق؛ ويبدو انه تغطى بطبقة كثيفة من النبات المائي. وبالاضافة إلى هذه الابار، الكثيرة العدد، توجد ايضاً على مقربة من المدينة حياض، ولكن الماء هنا أصبح ذا منظر لا يطاق، وبما ان هذه الحياض محاطة بمساكن لأفقر الناس فإن جميع القذارات ترمى في هذه الحياض، كما يبدو. (ص 94 ظهر) وفي هذا المكان السكني حفر الكثير من الآبار العميقة في الأرض مباشرة، علماً بأن هذه الحفرات غير مسيجة بشيء، وهي تشكل خطراً كبيراً لا في الليل وحسب بل وفي النهار ايضاً إذ انها تلاحظ فقط عندما يصبح المرء على مقربة مباشرة منها. الماء فيها شديد الملوحة. التجارة في بندر عباس توجد في ايدي الهنود والايرانيين المتحدرين من الهند. وعددهم كبير جداً، وحتى انه يوجد معبد في المدينة، وعلى مقربة من المدينة توجد خرائب، قديمة جداً على ما يظهر لانه بقى منها شيء قليل جداً. ويقال ان ذلك كان معبداً للفارسيين عباد النار، ونظراً للمساحة التي تحتلها الخرائب قد كان معبد كبيراً جداً. بقى فقط نصب تذكاري مبني بالاسمنت، واجزاء جدران. ولكن احداً لم يستطع اعطائنا أية تفاصيل.

في اليوم التالي جاء إلى الطراد شخصان اوروبيان بدعوة مني: ممثل التلغراف الحكومي الهندي الاوروبي، البريطاني نيم، وتفش الجمارك الإيرانية البلجيكي ستاس. واخبرني كلاهما معلومات مثيرة للاهتمام جداً، وكل واحد في ميدان عمله. فمنذ عام مضى منحت الحكومة البريطانية امتيازاً بمد خط تلغراف من طهران إلى كاشان ويزد وكرمان، ومن ثم إلى نوشكي، واصبح يوجد تلغراف إلى كويتا، ومن كويتا خط إلى كاراتشي، وهلمجرا. والسيد نيم منهمك في مد هذا الخط بسرعة، وسوف يبدأ بالعمل في القريب العاجل على الارجح لأن كل سفينة آتية، تقريباً، تفرغ اعمدة حديدية انبوبية الشكل وكمية كبيرة من المواد التلغرافية، وهو ما شاهدته بنفسي في بندر عباس وبوشهر. ومن هذه الاماكن تذهب هذه المواد على النحو التالي: من المحمرة عبر الاهواز ومن بوشهر عبر شيراز إلى كاشان ويزد، ومن بندر عباس إلى كرمان وعلى ظهور الجمال في اتجاه نوشكي. وهم على عجلة من امرهم في مد الخط. ثم ان الامتياز لم يؤخذ بعد، ولكن يجرى ترتيب الأمر، وقريباً سيبدأ العمل بمد خط من كرمان إلى بندر عباس ومن هنا ينطلق خط إلى جاسك وآخر إلى لنغه. (ص95) وتجرى مباحثات مع شيخ جزر البحرين عيسى حول مد كابل من البحرين إلى بوشهر، ولكن الشيخ رفض رفضاً قاطعاً اقامة تلغراف لاسلكي مع بوشهر، كما انه لا يرغب في مدج كابل. وانبأ بعض التجار كما ورد في الجرائد ايضاً ان الشركة البريطانية Bossnall Brothers، التي تملك خط لندن . البصرة، بدأت تقدم وثائق شحن (بواليس) حتى اوديسا لاجل الحمولات المتجهة نحو الخليج العربي، على ان تنقل هذه الحمولات حتى بور سعيد فقط وتسلم هناك لأول مرة إلى اوديسا. والنولون على البضائع، رغم انه اغلى بخمس شلنات، تأخذه سفننا التابعة للشركة الروسية للملاحة والتجارة، ولكن التجار، إذ يتشكون من مجيء سفننا بصورة نادرة، مضطرون لارسال البضائع على متن سفن بريطانية ويدفعون نولوناً اغلى، اما إذا استمرت هذه الحالة مدة طويلة فسوف يكفون، على الارجح، عن التعامل مع سففنا بوصفها سفنا عرضية ونادراً ما تأتي. وبالاضافة إلى ذلك فانه لمن المرغوب فيه ان يكون لنا ولو في واحد من موانئ الخليج، أو في مسقط على الأقل، عميل روسي، اما في الموانئ الأخرى، كما في بوشهر، فمعاونون لا من الاوروبيين إذا امكن، بل من الروس. واظن ان جميع الاوروبيين، بمن فيهم الفرنسيون ايضاً، سيعملون فقط على إلحاق الضرر بتجارتنا في صالح تجارتهم. فقد روى لي البلجيكي، ممثل الجمرك، ولكن بسرية شديدة، القصة التالية التي حدثت قبل وصول الطراد بحوالي ثلاثة اسابيع إلى بندر عباس: وصلت سفينة البريد البريطانية "سفنيكس" ، ونزل منها الضباط والقائد إلى جزيرة هرمز بحجة الصيد والمشاهدة. وفي هذا الوقت كان في زيارة للشيخ بعض الايرانيين من سكان بندر عباس. وتبين ان القائد سأل الشيخ، مالك الجزيرة، بشكل جدي تماماً هل صحيحاً ان روسيا قد اشترت هرمز. (ص 95 ظهر) وفي

المساء، وعندما كان هذا البلجيكي في ضيافة قائد "سفينكس"، امطره هذا القائد بوابل من الأقوال بأن الروس لن يحصلوا على أي شيء في الخليج العربي لانهم هم، أي الانجليز، يعملون منذ 200 سنة على تمتين نفوذهم في الخليج ولن يسمحوا بمقاومة ذلك. لقد كان الهجوم حاداً جداً لدرجة ان البلجيكي اضطر لايقاف القائد وطلب من القنصل البريطاني السيد Campell اقناع القائد ابنه ليس روسيا وان المصالح الروسية قلما تهمه، وانه يهتم بالجمارك الايرانية، ولا يخدم الروس. أعتقد ان هذا الواقع قد يكون اختلاقاً برمته، ولكن من الواضح ان الانجليز اصبحوا عصبيي المزاج وهم يتوقون اعمالاً عدوانية ما من جانبنا في الخليج. ان هذا الواقع، وكذلك تصرفات قائد الطراد "Perseur" عندما كنت للمرة الثانية في مسقط، وهو ما سأتحدث عنه فيما بعد، تدل على ان الانجليز يتخوفون منا في الخليج، وليس من تواجدنا أو مجيئنا بل من مظاهر نفوذنا بوجه عام ايضاً. فقبل يوم من مغادرتنا، وصلت في الساعة الثانية ليلاً إلى المكلأ سفينة خفر السواحل البريطانية "Lapwing" التي تبادلت مع قائدها بعد رفع العلم الزيارات المتبعة. وكان عميد القنصلية العامة الروسية السيد اوفسيينكو ابلغني في بندر عباس انه يود الذهاب على متن الطراد إلى مسقط إذ انه كان يلزمه الحضور إلى هناك لكي يقدم نفسه للسلطان وتكوين تصور لنفسه عن تجارة مسقط مع ساحل الخليج العربي من لنغه حتى بندر عباس. واضافة إلى ذلك قدرت ان احتياطي الفحم المتوفر لدي لن يكفيني، على كل حال، حتى كولومبو وساضطر للتعريج على كاراتشي، لذلك فقد قررت التعريج على مسقط، وعلاوة على ذلك فقد وعدني السلطان، قبل مغادرتي في المرة الاولى، بأن يقوم بزيارة جوابية إذا عرج الطراد على مسقط قبل مغادرته إلى الجنوب بعد طوافه بموانئ الخليج. (ص 96) لذلك سرت مع الطراد "infernet" حتى مسقط لكي اترك هناك السيدج اوفسيينكو الذي ينبغي له ان يركب في مسقط سفينة "Tigris" الاتية من اوروبا، ولذلك فلن تقع تحت الحجر الصحي في موانئ الخليج. ومن مسقط كان السيد اوفسيينكو ينوي الذهاب على هذه السفينة إلى بندر عباس، ومن بندر عباس على سفينة إلى لنغه، ومن هنا يذهب إلى بوشهر على ظهر جواد. وذلك، ففي 28 شباط (فبراير) من العام الجاري، الساعة الثانية بعد الظهر، رفعت المرساة سوية مع الطراد "infernet"من مكلأ بندر عباس واتجهت بمواكبته (....) نحو مسقط. (.....).

في 1 آذار (مارس)، وبعد ان استكشفت في الوقت المناسب المرتفعات المحيطة بمسقط وعاينت جزيرة Fahal الصغيرة، وعند نهاية الساعة الواحدة بعد الظهر، دخلت مكلأ مسقط في اعقاب "infernet" ورسوت في الساعة الثانية و10 دقائق. (.....).

في مكلأ مسقط صادفت الطراد المساعد البريطاني "Perseur" الذي تبادلت مع قبطانه المقدم البحري Pears الزيارات المتبعة. (ص 96 ظهر) وفي يوم مجيء الطراد غادرت سفينة البريد

إلى بومباي التي كان ينبغي للقنصل الفرنسي الجديد السيد Dorville بأنه بعد مغادرة السفينة سيذهب بادئ الأمر إلى "infernet" ومن ثم يقوم بزيارة لي. وبالفعل، فعند حوالي الساعة الرابعة وصل السيد Dorville إلى الطراد، وعرفته على قنصلنا السيد اوفسينكو. وفي الحال سأل Dorville عما إذا كنت ازور السلطان، وعرض على خدماته كمترجم. عندها قلت له ان السيد اوفسيينكو يجيد اللغة العربية بطلاقة، لذلك لا استطيع الاستفادة من خدماته، سيما وان اوفسيينكو نفسه وصل إلى مسقط قاصداً التعرف على السلطان، ولذا فهو يزمع غدا القيام بزيارة السلطان. وعندما علم السيد Dorville انني قد قدمت نفسي للسلطان وانتظر زيارة جوابية منه عين موعداً لها بعد يوم غد أثر زيارته للطراد "infernet"، أعلن لي انه سيأتي ايضاً مع السلطان لانه سيكون على متن هذا الطراد، وإذ سيكون ببزة المراسم فسوف يقوم في الوقت نفسه بزيارة رسمية لي. وانني، إذ أرى ان السيد Dorviiie يرغب من كل بد في ان يكون حاضراً لدى زيارة السلطان الطراد، استنتج من ذلك ان جل ما يريده هو مراقبة الزيارة ومعرفة ما سيدور فيها من احاديث، وإذ انني لا ارغب على الاطلاق في الاذعان لمراقبة كهذه فقد ابلغته باسلوب لبق انني ارجوه الا يتعب نفسه بزيارتي بالزي الرسمي لانه يوجد ثمة تعميم بقضي بأن يقوم الروس والفرنسيون في البلدان الحارة بزيارات رسمية بالسترات الرسمية فقط، وانني اعتبر زيارته الآن رسمية تماماً، ولذلك ارغب في اداء تحية له حسب الرتبة لدى مغادرته الطراد. (ص 97) عندها اخطرني السيد Dorville بأن العادة المتعبة في مسقط هي تأدية تحية من 9 طلقات لنائب القنصل. وبما انه قد سبق لي ان اديت مثل هذه التحية للسيد Laronce وادى الطراد "infernet" التحية نفسها لدى زيارة Dorville له، فقد وافقت بطبيعة الحال. كما انني اعتبرت امراً غير مناسب زيارته للطراد بعد غد في آن واحد مع السلطان لانه، لو حدث ذلك، لكنت اضطررت بعد تحية السلطان لاداء تحية للقنصل الفرنسي، ولذا فقد قررت ان أؤدي تحية له الآن بالذات لدى مغادرته الطراد لكي لا اعطيه حجة للمجيء غدا لاجل التحية، سيما وانه لم تكن ثمة حاجة على الاطلاق لترجمة الحديث غير المعقد الذي يجري في ظروف كهذه، لأن السيد اوفسيينكو يعرف اللغة والعادات المحلية معرفة رائعة. لكن السيد Dorville كرر عدة مرات، بذرائع مختلفة، اقتراحه بحضور اللقاء، بحيث بدأ وكأنه يتخوف من تفويت اللقاء بدون حضوره، وبعد اعلاني القاطع بانني لا ارغب في اقلاق راحته عبثاً وانوي الاستفادة من خدمات السيد اوفسيينكو، بعد هذا فقط قرر عدم الذهاب. وبالاجمال، فإن هذه الرغبة الشديدة في حضور اللقاء على ضوء ما قاله لي عميل الشركة الروسية للملاحة والتجارة السيد Goguyr، وهو فرنسي ولكنه يكن مشاعر معادية للقنصل الفرنسي، حول ما سبق ان ذكرته في وصفي أول زيارة قمت بها لمسقط، ان هذه الرغبة تقنعني بأن الفرنسيين يسعون جهدهم بلا شك، لابعادنا بشتى

الوسائل عن مسقط التي يعتبرها حتى الانجليز، ولا ادري ما إذا كان على سبيل الجد أو المزاح، تحت نفوذ فرنسا. (ص 97 ظهر) اما فيما يتعلق بالفحم فلم اشأ اثارة هذا الحديث مرة اخرى إذ كنت اعلم من الحديث السابق انهم لن يعطونا الفحم باية ذرائع كانت، فقررت عند ذلك، باذن من معالي قائد فصيلة السفن المتجهة إلى المحيط الهادئ، التعريج على كاراتشي لردف الاحتياطي بكمية تكفي للوصول إلى كولومبو دونما عائق. لدى مغادرة السيد Dorville اديت تحية من 9 طلقات. وبصدد هذه التحية قال لي السيد Dorville شخصياً انه يأسف جداً من انه لا يستطيع القيام بزيارة رسمية لقائد "Perseur" لانه يعلم انه لدى مغادرته سيؤدي له تحية من 7 طلقات فقط، الأمر الذي يعتبره غير صحيح، ولهذا السبب لا يقوم بزيارة رسمية لـ "Perseur". في 2 آذار صباحاً قام اوفسيينكو بزيارة للسلطان، وبعد ذلك توجهنا معاً للقيام بزيارة جوابية للسيد Dorville. وتم تعيين موعد زيارة السلطان يوم 3 آذار في الساعة 9 صباحاً إلى "infernet"، وبعد ذلك إلى "بويارين". ويبدو ان احاديث كثيرة سرت على الشاطئ حول هذه الزيارة، وقد روى لي السيد Goguyer، عميل الشركة الروسية للملاحة والتجارة، اشاعات مختلفة تسري على الشاطئ بصدد هذه الزيارة. ومن جملة ما يشاع انني منعت السيد Dorville من الحضور أثناء زيارة السلطان لـ "بويارين"، وهذا غير صحيح اطلاقاً لانني لم اسمح ولم امنع، بل بناء على طلب السيد اوفسيينكو رفضت اقتراح السيد Dorville بأن يكون وسيطاً ومترجماً، وذلك بحجج لائقة تماماً: 1 . لكيلا ازعج السيد Dorville بالحضور ببزة المراسم؛ و 2 . لانه كان يوجد لدي وسيط ومترجم مناسب تماماً في شخص السيد اوفسيينكو، القنصل العام الروسي، الذي رغم انه غير معتمد في الساحل العربي وفي مسقط، يقيم علاقات رسائلية دائمة في شؤون التجارة مع الشركة الروسية للملاحة والتجارة ومع مسقط ايضاً. (ص 98) قبل الساعة الثامنة صباحاً رفع الطراد "Perseur" المرساة وابحر لاجل القيام بتمارين الغام ورماية. وطوال وجود السلطان على متن "infernet" و "بويارين" كان "Perseur" يتجول بكامل سرعته امام مدخل الميناء وهو يصوب فوهات مدافعه ويقوم بتمارينه بانذار حربي، ثم يبتعد تارة إلى ما وراء رؤوس المدخل وتارة يظهر من جديد امام المدخل ويمر على بعد 3 اطوال كبلية تدل بشكل واضح على وجود بعض قلق لدى السلطات البريطانية بسبب قيام طرادي امتين متصادقتين بزيارة مسقط. ولكن السكان، كما ستدل من الاحاديث، فهموا هذه المناورة لا كما كانت ترغب هذه السلطات، لأنها اثارت التهكمات والاقوال اللاذعة فقط، ومن جملة ما قيل ان الطراد "Perseur" اصيب بمرض من فرط التكدر،، على ما يبدو، ولذا فهو يهرول إلى الوراء وإلى الامام. قبل الزيارة اتفقت مع قائد "infernet" حول مراسم الاستقبال؛ وتقرر بالاتفاق المتبادل رفع الأعلام على أعلى صواري الطراد واصطفاف أفراد الطاقم والضباط لدى وصول السلطان، واداء تحية من 21 طلقة

وانزال هذه الأعلام لدى مغادرته. ورفع علم السلطان، الأحمر المربع، على الصارية الرئيسية. واطلاق هتاف "هورا" ثلاث مرات لدى مغادرته. وفي الساعة 9 وصل السلطان إلى الطراد على متن زورق يسحبه قارب بخاري من "بويارين" ، لكي يقوم، حسب تعبيره، بمقارنته بالسفينتين الرائعتين للاسطول الروسي "فارياغ" و "اسكولد" اللتين خلفتا وراءهما اطيب الانطباعات. بعد الاطلاع على الطراد، الذي ترك في نفسه انطباعاً سارياً للغاية، اثارت اهتمامه بشكل خاص الغسالات ورشاش Maxim الذي أطلق منه عيار ناري بعد نصبه موقتاً على قاعدة مدفع عيار 47 ملم. بعد ذلك دخل الجميع غرفتي حيث قدمت لهم مأكولات الضيافة. (ص98 ظهر) ومكث السلطان على متن الطراد حوالي الساعتين، من الساعة 9 إلى الساعة 11، وكان طوال الوقت مسروراً وتحدث كثيراً مع السيد اوفسيينكو.

لقد جاء السلطان فيصل بن تركي إلى الطراد مع شقيقه ونجله وحاشية من سبعة أشخاص. واعجبته بشكل خاص غرفتي وغرفة السادة الضباط. ولدى مغادرته طلب مني ان انقل شكره إلى جلالة الامبراطور على ارسال سفينة جيدة كهذه إلى مياهه. ومن بين سائر الاحاديث التي جرت عند السيد اوفسيينكو مع السلطان نقل لي اوفسيينكو ان شقيق السلطان ابلغه انه إذا احتجنا لمكان لاجل اقامة مستودع للفحم فإن باستطاعته ان يقنع السلطان، وسيتم بالطبع تدبير المستودع إذا كانت الحكومة الروسية ترغب في ذلك. وفي الساعة 11 سافر الجميع إلى الشاطئ، وبعد التحية المدفعية دوى هتاف "هورا" ثلاث مرات، ثم انزلت الأعلام. وفي الساعة الثالثة. قبل مغادرة مسقط، وقبل فراق الأصدقاء الفرنسيين الذين طاف معهم الطراد "بويارين" في مياه الخليج حوالي الشهر وسار كل شيء أثناء هذه المدة وكأن السفينتين تعودان لاصطول امة واحدة. اقترح على القائد المقدم البحري D Hespel ان اعين في تقريري أسماء بعض ضباط الطراد الموكل إليَّ لمنحهم اوسمة فرنسية. ومن جهتي رأيت لزاماً على ان افعل الشيء نفسه بالنسبة لضابطه، وهذا ما انتشرف في نهاية التقرير بوضعه تحت تصرف معاليكم الامبراطوري. واعتبر ان بهذا اليوم انتهت البعثة بالنسبة لموانئ الخليج العربي. (ص99) في 4 اذار، الساعة الثامنة صباحاً، رفعت المرساة للتوجه نحو كاراتشي. ولدى المرور قرب "infernet" استدعيت جميع أفراد الطاقم إلى سطح الطراد وامرتهم بهتاف "هورا" ثلاث مرات، وجرى الشيء نفسه في الحال على سطح "infernet"، وبعد ذلك اطلقت الاشارة بتمني السعادة لاصدقاء الفرنسيين. ولدى انهاء ما كلفت به من طواف عبر موانئ الخليج العربي ارسلت من مسقط قبل الاقلاع برقية إلى طهران على عنوان المبعوث طلبت منه فيها تقديم الشكر لجلالة الشاه على ذلك الاستقبال الودي الذي لقيه الطراد في الموانئ. وفي الختام استخلص استنتاجاً عاماً من الرحلة المشتركة مع الطراد الفرنسي.

1 . ان انسب وقت في السنة لارسال السفن هو شهرا شباط وآذار (فبراير ومارس)، حيث يكون الطقس معتدلاً وهادئاً نسبياً، رغم اننا صادفنا احياناً ريحاً شمالية غربية قوية لحد ما. لم يصب أفراد الطاقم بأية امراض خطيرة، ومرد ذلك في رأيي إلى ان الطقس لم يكن حاراً.

2 . من الضروري قبل الاوان،أي قبل ثلاثة أو أربعة اشهر، ابلاغ القنصل العام في البصرة والقنصل العام في بوشهر عن مجيء السفينة لكي تتاح لهما امكانية الاستعداد بعض الشيء لاستقبال السفينة، وكذلك للطواف بالموانئ على متنها إذا اقتضت الحاجة.

3 . ان عدم وجود فحم في الخليج على هيئة مستودعات دائمة يشكل صعوبة كبيرة، ولكن يمكن على كل حال إعداد أية كمية كانت وفي أي مكان كان من موانئ إيران إذا علم القنصل في بوشهر قبل الاوان، أي قبل ثلاثة أشهر على أقل تقدير، من وصول السفينة، كمية الفحم التي تحتاجها، وفي أي مكان. ونظراً لوجود قنصل عام في بوشهر فلا يمكن بعد الآن ان يحدث ما حدث للسفينة "غيلياك" عندما اضطرت، بسبب دسائس القائد البريطاني، لأن تضع على سطح السفينة الفحم المجلوب لأن المحافظ، (ص 99 ظهر) الذي كان يتخوف من المسؤولية، رفض السماح بوضع هذا الفحم على الشاطئ.

4 . إذا اقيم مستودع حقيقي للفحم شبيه بالمستودعين الفرنسي والبريطاني في مسقط فينبغي ان يديره شخص روسي وليس شخص اجنبي كالعميل الحالي للشركة الروسية للملاحة والتجارة الفرنسي Goguyer الذي لا تشكل مصالح روسيا، ولا سيما مصالحها التجارية، بالنسبة له أية اهمية على الاطلاق. الماء في مسقط موجود، وحتى في كمية كافية، بحيث ان الطراد استلم في يومين، وسط طقس هادئ، حوالي مائة طن.

5 . المأكولات، أي اللحم وبعض الخضار، يمكن الحصول عليها في كل مكان تقريباً، ولكن ينبغي امتلاك احتياطيات من الزبدة والملفوف واللحوم المملحة بكميات كبيرة ما امكن.

6 . كان من الضروري تقديم سلفة للسفن في بوشهر على الأقل.

7 . العلاقات تغيرت كثيراً منذ زمن مجيء السفينة "غيلياك". ففي جميع ارجاء الخليج يعرفون الروس جيداً، ويعاملونهم معاملة ودية، ومكانة قنصلنا في بوشهر عالية جداً لدرجة انهم يتوجهون في مسقط إلى السيد اوفسينكو طالبين منه حماية مصالحهم في البيت بالخلافات والجدالات التجارية. وطلب عدة أشخاص بالوتشيين فارين من إيران الحماية من الايرانيين الذين طردوهم ونهبوهم.

8 . في جميع موانئ الخليج يلزم، لاجل جمع المعلومات، ان يكون لدينا عملاء موثوق بهم. ومن المستحسن ان يكون هؤلاء أشخاص من التبعية الروسية (ص 100) ومن الضروري ان توجد تحت تصرف قناصلنا سفينة تواجد دائم يكون بامكانها دخول بحرية والوقوف في المكلأ الداخلي

لبوشهر. وينبغي ان تكون فيها غرفة خاصة بالقنصل، وصهاريج كبيرة فيها ثقل موازنة للماء تستطيع ان تتزود به لمدة طويلة في قارون. رافد شط العرب.

9. من المرغوب فيه ارسال سفن الشركة الروسية للملاحة والتجارة بصورة أكثر تكراراً، لانه توجد دائماً بضائع لاجل التصدير، وجلب البضائع الروسية أكثر تكراراً، لانه توجد دائماً بضائع لاجل التصدير، وجلب البضائع الروسية إلى هنا أمر مرغوب فيه.

10. الهدايا، التي نقدمها جواباً على الهدايا التي نتلقاها، يجب ان تشري في روسيا، بدمغات روسية. فهذا يزيد في قيمتها. لا ينبغي اطلاقاً اهداء سلاح: فهو هنا كثير جداً وحسن جداً.

11. لم تكن توجد في الخليج أية امراض معدية أثناء وجود الطراد، والحجر الصحي يفرض فقط على السفن الاتية من الهند.

12. لا ينبغي السماح لافراد الطاقم بالنزول إلى الشاطئ لانه لا يوجد على الشاطئ أي شيء يمكن ان يشكل تسلية صحية جيدة بالنسبة لهم.

13. الاستقبال الذي حظى به الطراد كان فائق الحفاوة واثار تعليقات لاذعة بحق بريطانيا. وكان السكان، إذ يرون الضباط الروس والفرنسيين مع بعضهم البعض دائماً، يعتبرون ذلك علامة جيدة بالنسبة للخليج وسيقلل كثيراً من ادعاء بريطانيا بالسيطرة في الخليج.

14. انني اسمح لنفسي بأن اعرب عن الرأي بأن ارسال سفن إلى الخليج بصورة سرية يضر باهداف حكومتنا أكثر مما يفيدها. وهو يقدم مادة مغذية للتلميحات والتعليمات غير المرغوب فيها في الصحافة الاجنبية، ويوحي باننا بالفعل نتسلل إلى الخليج بصورة سرية دون ان يكون لنا حق في ذلك، بينما الحق في ذلك ونرى ذلك امراً مريحاً وضرورياً. (ص 100 ظهر) سيما وانهم يتحدثون دائماً في الصحافة الأجنبية قبل الأوان عن ارسال سفينة إلى الخليج، وعلى الرغم من ذلك لا توجد في الوقت الحاضر أية عقبات تذكر امام ملاحتها، وذلك بفضل وجود قنصلينا في الخليج وامكانيات إجراء الاحاديث بواسطتهما.

15. بغية عدم التعريج على عدن لتحميل الفحم قبل دخول الخليج، لأن في عدن قد لا يعطون الفحم بذرائع مختلفة، فمن الأفضل الاتجاه إلى جيبوتي حيث يمكن تدبير مستودع أو عقد اتفاقية بتسليم الفحم.

ملاحظات

1. قائد اسطول المحيط الهادي الأمير الكسي الكسندروفيتش.

2. المقصود هنا سحق تمرد المهديين في السودان.